

الفكر العسكري للأتراك السلاجقة في عهد طغرلبيك الأول

(٤٢٩ - ٤٥٥ هـ / ١٠٣٧ - ١٠٦٣ م)

إبراهيم محمد علي محمد مرجونة

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية المساعد

كلية الآداب - جامعة دمنهور

مقدمة:

شهد التاريخ حركات اندفاع شعوب وجماعات، خرجت من مواطنها الأصلية إلى حيث استقرت في أرض جديدة صنعت فيها أوطانها، وحملت معها عناصر من مقومات حياتها الأولى، واقتبست في الوقت نفسه مما وجدته صالحا للبقاء، والتطور من مقومات الحضارة الأصلية في الأرض الجديدة.

وغير قليل من الناس يرى خروج الشعوب التركية من مواطنها الأصلية، واندفاعها إلى غربي آسيا وشرقي أوروبا ووسطها، من الحركات الكبرى التي غيرت وجه التاريخ، وهي حركة امتدت من القرن العاشر إلى القرن السابع عشر الميلاديين، وكانت نقطة التحول حين اعتنق الأتراك الإسلام فانهار الحاجز الذي كان يقف بينهم، وبين المسلمين، بل بينهم وبين التاريخ العالمي، فأصبحت بلادهم دار إسلام، وبدأ هؤلاء يتسربون إلى ممالك الإسلام يدخلون في خدمة ملوكها وأمرائها وقوادها، يحدون هذه الممالك بقوة عسكرية جديدة حتى استطاعوا أن يقيموا لهم دولاً. ومن هذه الدول التركية التي رفع الإسلام من شأنها، وأدخلها نطاق التاريخ العالمي دولة الأتراك السلاجقة، التي التف سلاطينها حول راية الإسلام، وأنفذوا قوة الإسلام السني ثم صاروا حماة ديار الإسلام من المخاطر الداخلية، والخارجية.^(١)

لقد اهتم سلاطين، وأمراء السلاجقة اهتماماً بالغاً بالحياة العسكرية، والنظم الحربية، والجيش؛ لأن الحياة العسكرية كانت عماد دولتهم، وصار السلاطين والأمراء أنفسهم رجال حرب، وقاتل، وفروسية، إلى جانب الروح القتالية التي تأصلت فيهم لطول ممارستهم لحياة البداوة القبلية، فأصبح لكل سلطان من سلاطينهم العظام، ولكل أمير من حكام الأقاليم التابعين له جيش كبير مدرب.

وهذا البحث يتناول الفكر العسكري للأتراك الذي ميزهم عن سواهم في تلك الآونة، ومكنهم من السيادة، ووضعهم في مكانة مرموقة، كذلك يظهر البحث نموذج الدولة العسكرية، ومدى ما حققت من نجاحات، وإخفاقات، ويحاول البحث أن يجيب على إشكالية مهمة وهي: هل استطاع فكر الأتراك السلاجقة في عهد طغرلبيك أن يصل بهم إلى تحقيق أهدافهم أم لم يستطع؟

(١) محمد عبد العظيم يوسف أبو النصر: السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠١ م، ص ٧.

وبمشيئة الله سيتم تناول هذا البحث خلال المنهج النقدي، والتحليلي، والبنائي بهدف الوصول إلى الحقائق التاريخية.

أولاً: مفهوم مصطلح الفكر العسكري:

استطاع Henry Minzberg هنري مانزبرج أن يحدد مفهوم الفكر العسكري الإستراتيجي في إطار أكاديمي واضح، وحدد غايته، وأبعاده، ووضع حدوده مع المصطلحات الأخرى. فقد أشار أن الفكر العسكري الإستراتيجي هو طريقة خاصة للتفكير، تهتم بمعالجة البصيرة، ينجم عنها منظور متكامل للمنظمة، خلال عملية تركيبية ناجمة عن حسن توظيف الحدس، والإبداع في رسم التوجهات الإستراتيجية.^(١)

والفكر العسكري الإستراتيجي يعتمد على الابتكار، وتقديم أفكار جديدة يصعب على المنافسين تقليدها، وقبول الأفكار، والاقتراحات المقدمة من فريق العمل بعد تقييمها لضمان وجود أكبر قدر ممكن من الأفكار، والمقترحات البناءة، فكثير من الأفكار الخلاقة بدأت بأفكار كان من الصعب تصديقها.^(٢)

ولابد من إدراك للفارق الكبير بين الفكر العسكري الإستراتيجي كمنهج، وفلسفة ينتج عنها حس، وإدراك إستراتيجي يتم التفكير دائما في إطاره، وبين الخطط الإستراتيجية كمسار، وخطوات، ومراحل يتم التحرك بناء عليها، وخالها.^(٣)

إن بناء وتنمية منهج الفكر العسكري يترتب عليه حتما وضع إستراتيجيات، وخطط، وسياسات تحقق أهداف صاحب هذا الفكر؛ لأن غياب منهج الفكر العسكري يؤدي إلى جو من التشويش، وعدم وضوح الرؤية. إن الشعوب الإسلامية بما تعانيه من هزائم، وخسائر، وتصدع، وتفكك جعلت بعضا يشكك في صلاحية إنسان هذه الأمة للبقاء، والتقدم بحكم جمود شخصيته، ورجعية تفكيره، وتخلف عقليته، فالفكر هو السبيل الوحيد للتحرر من قيود التخلف، والعبودية، والاتجاه نحو تنمية الموارد البشرية، والإنسانية، وإعلاء القيم الإنسانية.^(٤)

(1) Stace W. : The Theory of Knowledge and Existence, Oxford, 1932, p. 304; Russell: The Problems of Philosophy, Oxford University Press, London, 1959, p. 21.

(2) Chisholm M.R.M: Identity Through Time, An Essay in Metaphysics, The Big Questions, p. 2; Carrett: Personal Identity and Self Consciousness, London, p. 9;

سون ترو: فن الحرب، إعداد وترجمة رؤوف شبايك، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٢-٥.

(3) Shoe make R: Personal Identity, An Essay in Metaphysic, The Big Questions, p. 300; Gibbard: Contingent Identity, An Essay in Metaphysics, An Anthology, p. 101;

محمد توفيق الصنوي: نظرية الهوية الشخصية، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٤م، ص ٥١-٥٥.

(4) د. فؤاد حيدر: الشخصية في الإسلام وفي الفكر الغربي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م، ص ٢١٧؛ محمد نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، ١٩٨٠م، ص ١٠-١٥.

والفكر العسكري قائم على إستراتيجية عسكرية، والإستراتيجية تعني تنظيم الجيوش، وتنسيق القوى، ووضع الخطط العسكرية في المعركة، وهي الخطة الشاملة، وأصل كلمة إستراتيجية مشتق من "إستراتيجوس" Stratégos الإغريقية، وتعني القائد العسكري.^(١)

أما التكتيك فهو فن وضع الخطط الحربية، وغيرها. "استخدام الجيش تكتيكا ناجحا لدحر العدو: أسلوبا، ووسائل في التنظيم حسب خطة مرسومة تؤدي إلى النجاح، والفوز"، والإستراتيجية قد تتضمن غير تكتيك؛ بينما يكون التكتيك عادة جزءا من إستراتيجية حاكمية.^(٢)

ثانيا: الأتراك السلاجقة وظهورهم المؤثر على مسرح الأحداث:

تباينت آراء المؤرخين حول أصل السلاجقة الذي يحيط به الغموض فالسلاجقة أنفسهم صدقوا أسطورة تنسبهم إلى آل أفراسياب^(٣) على اعتبار أنهم بقية منهم، وأورد القزويني: "أن سلجوق مؤسس هذه السلالة التركية ينسب إلى أفراسياب في أربعة، وأربعين ظهرا.^(٤)

ويجمع معظم المؤرخين على أن السلاجقة يرجع أصلهم إلى الأتراك الغز^(٥) الذين ظهروا في التاريخ كمجموعة تركية تابعة للإمبراطورية التركية في القرن السادس الميلادي، والسلاجقة فرع من هذه القبائل التركمانية الغزية، وتعرف قبيلتهم باسم قنق أو قينيق، وهي إحدى قبائل الغز الأربعة والعشرين.^(٦)

(١) سون ترو: فن الحرب، ص ٢؛ ٥؛ p. 5; op. cit. M.R.M. Chilshol.

(٢) سون ترو: المرجع السابق، ص ٢-٣؛ 9-10؛ pp. Corrttt: op. cit.

(٣) آل أفراسياب: أفراسياب ملك توران (الترك)، وطبقا للأساطير الإيرانية ينسب التوران إلى "نور" الابن الأوسط لأفويديون ملك إيران، وقد جعل له والده أراضي الترك والصين نصيبا، إلا أن تور لم يرض بقسمه، وتعاون مع أخيه الأكبر سام أو سلم، وزحف بعسكره نحو إيران، وقتل أخاه الأصغر "إيرج"، ومن هنا بدأ التنافس بين آل تورك (الترك)، وآل إيراج الإيرانيين والعرب، وكانت عاصمة أفراسياب مدينة كاشغر، وكان ينسب إليه تأسيس مدينة بارجوق وهي مدينة (مارال سباشي) الحالية فيما وراء النهر، والتي سجن بها بيشرن البطل الإيراني الذي عشق مبشرة ابنه أفراسياب، وحبس في قاع جب فترة طالت حتى عثر عليه رستم بن دستان بمعاونة منيثة، فأخرجاه من الجب، وأعاداه إلى إيران وفقا للأساطير الإيرانية، لمزيد من التفاصيل انظر:

الفردوسي (أبو القاسم): الشاهنامه، ترجمة الفتح بن علي البنداري، تحقيق: عبد الوهاب عزام، ط ٢، ج ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٨٢-٩١؛ خواندمير (غياث الدين بن همام الدين): تاريخ حسب السير في معرفة أخبار أفراد البشر، طبعة بومباي ١٢٧٣هـ / ١٨٥٨م، ص ٧٤٩؛ نظام الملك الطوسي: سياسة نامه، ترجمة يوسف بكار، قطر ١٩٨٧م، ص ٤٦؛ بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م، ص ١٠٦؛ أحمد معوض: أضواء على تاريخ المشرق الإسلامي وحضارته ذروة عصر السلاجقة العظام (طغرل بك)، الدار العربية للنشر، القاهرة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م، ص ٢٣.

(٤) القزويني (حمد الله المستوفي) ت (٧٥٠هـ / ١٣٥٠م): تاريخ كزيرة، ط، نشره إدوارد براون، ليدن ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م، ص ٤٣٤-٤٣٥.

(٥) الغز (الأوغوز): أمة عظيمة من الترك من الأغز، أو طوقوز (تسعة بالتركية)، وهو مأخوذ من عدد قبائلهم، أو أسرهم المتفرقة، وظل الحكم في أيديهم حتى انتقل إلى الأويغوز إحدى قبائل الترك عام (١٢٨هـ / ٧٤٥م)، وكانت بلاد الأوغوز تجاور بلاد الإسلام في آسيا الوسطى مثل جرجان، وطبرستان، وهناك قبائل عديدة من الغز منهم السلاجقة، وقد أطلق عليهم اسم التركمان، وكان الغز أول الشعوب الجنوبية التي هاجرت من أراضيها، وكونت الترك الجنوبيين، وكون القفجاق فريق الترك الغربيين، وكانت أراضيهم منتشرة في بحر الخزر إلى أواسط نهر جيحون. لمزيد من التفاصيل راجع: بار تولد: تاريخ الترك، ص ٩٤-٩٥؛ أحمد السعيد سليمان: تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من دخيل، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ص ١٤٦.

وكان دقاق جد السلاجقة في خدمة ملك الترك (بيغو أو بوغو) الذي ألقى في يده زمام أمره، وكان ملك الترك لا يجزم أمراً دون مشورته، ولكن الأمير دقاق اختلف مع ملك الترك حينما عزم (بيغو) على محاربة بلاد الإسلام المجاورة لمملكته، فحاول الأمير دقاق منعه، وفي صحراء الخزر ولد الأمير سلجوق، ورباه والده تربية عسكرية، فلما كبر ظهرت عليه أمارات النجابة، ومخايل التقدم، واشتهر بالفروسية، والشجاعة، فقربه ملك الترك (بيغو) إليه، ولقبه سوباشي (قائد الجيش)، وأجاز له ملك الفرس حضور مجالسه، ولكن زوجة ملك الترك أوغرت صدر زوجها على الأمير سلجوق لجرأته، واستمالة قلوب طوائف كثيرة من الجند والأكابر، والعامة فطالب الملك بقتله، فعندما علم سلجوق بذلك هاجر بقومه إلى بلاد ما وراء النهر، حيث أقاموا بالقرب من سمرقند في مدينة جند التي اعتنق فيها سلجوق الدين الإسلامي على المذهب الحنفي، ومنذ العقد الأخير من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي بدأ تحول السلاجقة إلى الإسلام. (٢)

وفي مدينة جند توفي الأمير سلجوق بن دقاق بعد أن عاش مائة سنة، وكان له أربعة أولاد من الذكور هم: أرسلان (إسرائيل)، ميكائيل، موسى، بيغو، ولما زالت الدولة السامانية عام (٣٨٩هـ / ٩٩٨م)، ووزعت أراضيها بين القراخانيين، والغزنويين عمل السلاجقة على الاستفادة من هذا الوضع الجديد فأخذوا يوسعون رقعة أراضيهم التي ضاقت بهم. (٣)

بدأ صدام السلاجقة مع الدولة الغزنوية (٣٥١ - ٥٨٢هـ / ٩٦٢ - ١١٨٦م)، وأراد السلطان محمود الغزنوي أن يعرف قوة السلاجقة على حقيقتها، فأوهم إسرائيل بن سلجوق أنه يود الاستعانة بهم للقضاء على الخارجين عليه، ولديه رغبة في أن يشتركوا معه في حملاته الإسلامية في بلاد الهند حبا في الجهاد. (٤)

لجى إسرائيل دعوة السلطان محمود الغزنوي، وعندما بلغ السلطان أمر بالقبض عليه، وعلى ولده قلتمش، وعدد من فرسانهم ثم أرسلهم إلى بلاد ما وراء النهر، وسجن إسرائيل في قلعة كالنجر، ومكث فيها سبع سنوات، وجرت محاولة لتحريره، إلا أنها فشلت، وأعيد ثانية إلى القلعة، وشددوا عليه قيوده، وبقي فيها حتى أدركته الوفاة. (٥)

(١) القزويني: تاريخ كزيرة، ص ٤٣٢؛ الحسيني (صدر الدين أبو الحسن بن علي): أخبار الدولة السلجوقية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٢-٣؛ ابن الأثير (علي بن أحمد): الكامل في التاريخ، ج ٩، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م، ص ١٦٢، عبد النعيم حسانين: سلاجقة إيران والعراق، النهضة المصرية، ١٩٥٩م، ص ١٦.

(٢) الراوندي (محمد بن علي بن سليمان): راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة إبراهيم الشواربي، فؤاد الصياد، وآخرون، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١٤٥؛ ابن النظام البزدي الحسيني: العراضة في الحكاية السلجوقية، ترجمة وتحقيق د. عبد النعيم حسانين، وآخرون، بغداد، ١٩٧٩م، ص ٢٠، ٢١؛ ابن العبري (غريغوريوس أبو الفرج): مختصر تاريخ الدول المعروف بتاريخ ابن العبري، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٢٩٢.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١٦٤؛ البزدي: العراضة، ص ٢٠، الراوندي: راحة الصدور، ص ١٤٥.

(٤) الراوندي: راحة الصدور، ص ١٤٩؛

يتبين مما سبق أن الفكر العسكري للأتراك في تلك الآونة لم يصل إلى مرحلة النضوج، حيث انصاع إسرائيل بن سلجوق إلى مطالب السلطان محمود الغزنوي دون التروي، والتفكير الجيد، والنظرة الشمولية للأمر من أجل الوصول إلى الأهداف الحقيقية؛ لأن من شروط التفكير العسكري البصيرة، وحسن قراءة الحدث، والإبداع في رسم التوجيهات. تولى قيادة السلاجقة ميكائيل بن سلجوق، وكان لغدر السلطان محمود بالسلاجقة، واعتقاله إسرائيل، ومن معه من القواد، والفرسان أسوأ الأثر في أنفسهم فقام ميكائيل بن سلجوق بمراسلة السلطان محمود الغزنوي قائلاً: "إن مقامنا أصبح يضيق بنا، وإن مراعيينا لا تفي بحاجة مواشيننا، فأذن لنا أن نعبّر النهر، وأن نجعل مقامنا بين نسا، وباورد^(١)". (٢) ولكن أرسلان الجاذب حاكم طوس، حذر السلطان محمود من عبور السلاجقة قائلاً له: ليس من الصواب أن تسمح لهم بالعبور إلى خراسان، فإنهم كثيرون، ويملكون العدة والعتاد، وإني أخشى أن يكونوا سببا في متاعب لا يمكن تلافيها، وتداركها، بل أشار عليه أن يقطع إهمام كل رجل منهم، ليأمن حشرهم، أو أن يغرقهم جميعا في نهر جيحون فاستفزع السلطان محمود هذا العقاب، وسمح لهم بعبور النهر. وفي عام (٤١٦هـ / ١٠٢٥م) عبر السلاجقة بقيادة ميكائيل بن سلجوق نهر جيحون إلى خراسان لتبدأ مرحلة أخرى من مراحل التفكير العسكري للأتراك، حيث تمكن ميكائيل من ترسيخ أقدام قومه في إقليم خراسان، ووحد صفوفهم، وتحين الفرصة للأخذ بالثأر من الغزنويين، والقضاء على نفوذهم في خراسان، وبلاد ما وراء النهر. (٣)

لقد وضحت ملامح التخطيط الجيد، ووضع إستراتيجية حربية عند ميكائيل مما ينبئ بفكر عسكري متميز؛ حيث إنه استفاد من أخطاء الماضي، واعتمد على الحيلة، والحذر، وأراد أن يبحث عن موقع جغرافي جديد يوفر له الحماية، وحسن الاستعداد للأخذ بالثأر من الدولة الغزنوية، وعمل على توحيد الصفوف؛ لأن الفرقة تؤدي إلى الضعف، والوهن، وحاول جاهدا ترسيخ أقدام قومه في إقليم خراسان.

ولكن السلطان محمود الغزنوي أدرك الخطر، وأحس أن نفوذ الأتراك السلاجقة في ازدياد وأن شأنهم يرتفع، فأمر واليه علي طوس بإبعادهم فهجم عليهم، ودافع السلاجقة دفاعا مجيدا، ودارت معارك عنيفة، انتصر فيها السلاجقة، إلا أن حضور السلطان محمود بنفسه أحال النصر إلى هزيمة للسلاجقة قرب رباط فراوة^(٤)؛ حيث قتل ميكائيل، ومعه أربعة آلاف من خيرة فرسان السلاجقة، وفي رباط فراوة تجمع السلاجقة بعد هزيمتهم تحت قيادة ابني ميكائيل بن سلجوق،

(١) كرديزي (أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك): زين الأخبار، ترجمة عفاف زيدان، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٦٧؛ الراوندي: راحة الصدور، ص ١٤٩، حسين أمين، تاريخ العراق، ص ٤٨، براون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوس إلى السعدي، القاهرة، ١٩٥٤م، ص ٢٠٩ - ٢١٠.

(٢) نسا: مدينة بخراسان قرب سرخس، بناها فيروز بن يزدجرد، أحد الأكاسرة وكان يقال لها شهر فيروز أي مدينة فيروز ويقال لها اليوم درهكرز أي وادي المن. راجع: القزويني: آثار البلاد، لستر لج: بلدان الخلافة، ص ٤٣٥. باورد: تلفظ أيضا أيورد تقع شرق مدينة نسا فيها وراء الجبال وتعد من أقاليم خراسان الشرقية، المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٣٢١ - ٣٣٣؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ط ١، ص ١١١.

(٣) الراوندي: راحة الصدور، ص ١٥٣؛ اليزدي: العراضة، ص ٢٩، ابن الأثير: الكامل: ج ٩، ص ١٩٦، الكرديزي: زين الأخبار، ص ٧٠ - ٧١؛ عبد النعيم حسانين: سلاجقة إيران، ص ٢٦.

(٤) فراوة: مدينة صغيرة بين نسا ودهستان وخوارزم، راجع: الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج ٢، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٦٩٣.

وهما جغري بيك داود، وطغربك^(١) أبو طالب محمد، وتم اختيار طغربك، ليكون هو القائد على الرغم من صغر سنه عن أخيه داود. (٢)

ثالثاً: تكوين الفكر العسكري للأتراك السلاجقة في عهد طغربك:

اكتملت مراحل تكوين الفكر العسكري للأتراك في عهد طغربك (٤٢٩ - ٤٥٥ هـ / ١٠٣٧ - ١٠٦٣ م) الذي تميز بصغر سنه عن أخيه داود؛ لكنه كان يتمتع بسمات القائد العسكري الناجح، حيث أحبه قومه، وجنوده، وتحلى بصفات الفروسية والشجاعة، وكان لديه رغبة، وتصميم على تحقيق أهداف السلاجقة التي ترمي إلى إنشاء دولة قوية تسع العالم الإسلامي كله لو استطاعت إلى ذلك سبيلاً، ويعد طغربك هو المؤسس الحقيقي لدولة الأتراك السلاجقة في إيران والعراق. (٣)

وكان لدى السلاجقة فكرهم العسكري الخاص بهم، والذي ميزهم عن غيرهم، وأسهم في بروزهم على مسرح الأحداث كقوة عسكرية ضاربة سيطرت على مناطق واسعة بقضائها على كثير من القوى التي اصطدمت بها، فقد وصف الراوندي السلاجقة بأنهم: "كانوا أناساً يمتازون بالتقوى، والدين، واليقظة، وعدم الإهمال"^(٤)، كما وصفهم الحسيني بأنهم أقوام نفوسهم ربطت بآداب الوغى (الحرب). (٥) وهذا يظهر أن الفكر الحربي، والعسكري جزء أصيل من تكوين الشخصية السلجوقية التركية.

مما سبق يتبين أن طغربك يمتلك منهج الفكر العسكري، ووضع إستراتيجيات، وخطط، وسياسات تحقق أهداف فكره، لأن التركيز، والتصميم، والصبر، والمثابرة على الفكرة يصل بك حتماً إلى الهدف فكانت انتصارات، ونجاحات السلاجقة التي حققوها في معاركهم نتيجة مقومات، وأسس اتخذها السلاجقة ركائز لفكرهم العسكري. أما عن أبرز مقومات الفكر العسكري للأتراك السلاجقة فتجلت في عدة ركائز، من أهمها التنشئة العسكرية للأبناء منذ نعومة أظفارهم، فقد كان الطفل، وهو لم يتجاوز العامين من عمره يربط على ظهر الخراف لفترات طويلة من اليوم حتى يتعلم الفروسية، والتوازن منذ الصغر، فتربى الأبناء على فنون الحرب، والقتال، واجتهد سلجوق في تربيته، وتنشئة حفيديه طغربك، وجغري بك تنشئة عسكرية أتت أكلها بعد ذلك في نجاح كل منهما في قيادة السلاجقة، وإدارة المعارك ببراعة،

(١) طغربك: اسم تركي مركب من طغرل/ وبك، طغرل علم على طائر، ويسمى الرجل به، وبك معناه الأمير، أي الأمير الطائر، وهو مصغر (دوغراول) أي القصاب باللغة التركية، أما النطق الصحيح لهذا الاسم فهو (طوغول)، وكان الاسم يكتب بهذا الشكل في العهد السلجوقي، والعثماني وكان دائماً يبدأ بالهاء Tug، وليس Tog، وطوغول هو الأقدم، والأكثر صواباً، وأصله لهذا الاسم.

لمزيد من التفاصيل، راجع: ش. سامي: قاموس العلماء، المجلد الرابع، إستانبول، ١٣٠٦ هـ، ص ٣٠١٣؛ محمد فريد: دائرة المعارف القرن العشرين، المجلد الخامس، بيروت، ١٩٧١ م، ص ٧٥؛ Osborn: op cit., p. 15.

(٢) الراوندي: راحة الصدور، ص ١٥٤؛ الكرديزي: زين الأخبار، ص ٧١؛ البنداري: آل سلجوق، ص ٧.

(٣) البيدي: العراضة، ص ٣٢؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١٦٧؛ ابن دحية (أبو الخطاب عمر بن علي حسين بن سبط الإمام أبي بسام الفاطمي) ت (٦٣٣ هـ / ١٠٥٣ م): النبراس في تاريخ بني العباس، تحقيق عباس العزاوي، بغداد، ١٩٤٦ م، ص ٣٨.

(٤) الراوندي: راحة الصدور، ص ١٥٤.

(٥) الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص ٨؛ محمد عبد العظيم يوسف، السلاجقة، ص ٤٦ - ٤٨.

وإتقان فنتج عن ذلك ميلاد، وصناعة عديد من القادة. ^(١) فوصف جفري "يا له من فارس مغوار" ^(٢)، وكان طغرل بك يجيد الرمي بالقوس، ويجيد أيضا استعمال الأسلحة جميعها مع مهارة كبيرة في ركوب الخيل، فهذه الروح العسكرية عند أمراء السلاجقة انعكست على أقوامهم، وجنودهم، وكانت بدون شك وراء النجاحات التي حققها السلاجقة في المعارك، وخوض غمارها، وتحقيق النصر على الأعداء في عدد من الجبهات. ^(٣)

لقد ظهرت مهارات الفكر العسكري عند طغرل بك بصفة خاصة، والأترك السلاجقة بصفة عامة في الإعداد المعنوي للجيش، وإعطاء هدف أمام الجند، وهو الغيرة على الإسلام، والاستماتة في القتال بحماس شديد حتى النصر. ولم يكن أثر الجانب المعنوي خافيا على الوزير السلجوقي نظام الملك فكان يعطيه حقه من الاهتمام فعندما خاف السلطان ألب أرسلان (٤٥٥ - ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٧٢ م) من قتلمش السلجوقي بعد خروجه عن طاعته ثبته الوزير نظام الملك، ورفع من روحه المعنوية قائلا: "قد جعلت لك من خراسان جندا ينصرونك، ولا يخذلونك، ويرمون ذلك بسهام لا تخطئ، وهم العلماء والزهاد، فقد جعلتهم بالإحسان إليهم من أفضل أعوانك". ^(٤)

ويتضح بشكل جلي مما سبق أن هناك رؤية مكتملة للمنظومة العسكرية تبين الاهتمام فيها بالجيش، وإعداده معنويا، وكذلك العلماء، والزهاد؛ ليقوموا بدور مؤثر في بناء الجيش، ووحدته، وتقديم الوعظ، والحث على الجهاد، وكذلك يعد هذا بمثابة دعم إعلامي يؤهل الجيش في القيام بدوره المنوط به.

أعلن السلاجقة منذ اعتناقهم الإسلام مبدأ الجهاد في سبيل الله، والدفاع عن الإسلام، والزود عنه، فشكل الجهاد أساسا من الأسس المهمة في فكرهم العسكري؛ حيث قام سلجوق بعد اعتناقه الإسلام بحماية من يجاوره من المسلمين، وحارب بني جلدته من الأتراك غير المسلمين، وتنطق رسالة السلاجقة إلى الخليفة العباس القائم بأمر الله بالتأكيد على ذلك: "ولقد اجتهدنا دائما في غزو الكفار، وإعلان الجهاد... وشكرا لله على ما أفاء علينا من فتح، ونصر فنشرنا عدلنا، وإنصافنا مع العباد، وابتعدنا عن طريق الظلم، والجور، والفساد، ونحن نرجو أن نكون في هذا الأمر قد نصحنا وفقا لتعاليم الدين، ولأمر أمير المؤمنين". ^(٥)

ومن ركائز الفكر العسكري للسلاجقة وضع عدة شروط يتم اختيار القائد للجيش بناء عليها، ومن أهم هذه الشروط وجود الخبرة، والتجربة فلا يتولى المناصب العليا من لم يبلغ الخامسة والثلاثين، أو الأربعين من عمره "توكل قيادات

(١) علي محمد محمد الصلابي: دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي، الطبعة الأولى، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م، ص ٢١٦ - ٢١٧؛ محمد عبد العظيم يوسف: السلاجقة، ص ٤٧.

(٢) البيهقي (أبو الفضل محمد بن الحسين): تاريخ البيهقي، صحائف مسعودي، ترجمة يحيى الخشاب، صادق نشأت، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٦ م، ص ٦٢٢، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٢ م.

(٣) الراوندي: راحة الصدور، ص ١٩٧؛ علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص ٢١٧.

(٤) نظام الملك الطوسي (الحسن بن إسحاق بن العباس أبو علي) ت (٤٨٥ / ١٠٩٢ م): سياست نامه، ترجمة عباس محمود الغزاوي، القاهرة، ١٩٧٥ م، ص ٢٢٣؛ ظهير الدين النيشابوري: سلجوقنامه، طهران، الطبعة الأولى، ١٣٣٢ هـ / ١٩٥٤ م، ص ٩٠.

(٥) الراوندي: راحة الصدور، ص ١٦٦ - ١٦٧.

الجيش إلى الكهول المجربين لا الشبان الناشئين^(١)، ويجب أن يتحلى بصفات منها: "أن يكون قدره كبيراً، وأمره نافذاً، وخبيراً بالحلا، والعروض، ومعرفة الرجال، ورتبهم، وأقدارهم، ويتقي أمر الحلبة فلا يشتبه عليه شخص بشخص، وشياه الدواب والسلاح، ولتكن له هبة، وحرمة كبيرة حتى لا يجسر أحد على التدليس، ولا غيره، ويحتز عند العروض فهو الأصل في انتظام أمر الجيش^(٢)، ومن الصفات اللازمة لقائد الجيش معرفته بمواطن طاعة جنده، والشجاعة، والحزم، وحسن التدبير، والسخاء، وأن يكون كامل العقل، ثابت القلب، تام الشجاعة، وافر اليقظة، كثير الحذر، شديد الحزم، بصيراً بأحكام الحروب، ومواضع الفرص منها عارفاً بالخليل، والمكايد، والخداع فيها، عالماً بتدبير العساكر، وترتيب الجيوش، خبيراً بالطرق عارفاً بالخليل، وأصناف السلاح^(٣).

واجبات قائد الجيش هي الاهتمام بحماية الجيش من مفاجأة العدو له، واختيار الموقع المناسب للجيش، وإعداد ما يحتاج إليه الجيش من مؤن، ومعرفة أخبار عدوه، لئلا يتعرض لمكروه، وترتيب الجيش في أرض المعركة، وتقوية عزيمة الجنود، وبث روح الانتصار فيهم، وأن يعدهم بثواب الله في الآخرة، والغنيمة في الدنيا، ومشاورة ذوي الرأي فيما يشكل عليه لئلا يخطئ^(٤).

لقد أثبتت الدراسات الحديثة أن الفكر العسكري يعتمد على الابتكار، وتقديم أفكار جديدة يصعب على المنافسين تقليدها فيحسب لطغربك، ومن خلفه الأتراك السلاجقة توافر هذه المقومات، والركائز، لأن الطريقة التي يتم اختيار القادة بها يجعلهم مؤهلين لأن يكونوا متميزين، لأن الكفاءة، والخبرة هي المعيار، وليست الثقة هي أساس الاختيار، ففي معظم الأحيان كان يتم إيكال الأمر لأهله، وهذا الأمر ضمن لهم التمييز، والقوة العسكرية لفترات طويلة، وتم بناء وتكوين الفكر العسكري على أسس وقواعد، ونظم ثابتة، وقوية.

حرص السلاجقة في بناء فكرهم العسكري، وتكوينه على كسب ولاء الجيش، وقادته لمن يرشح من أبناء الأسرة السلجوقية؛ لاعتلاء عرش السلطنة، واهتموا بهذا الأمر اهتماماً كبيراً؛ إيماناً منهم بأهمية ذلك، ودوره في كفاءة السلطان الجديد، وتأيد الناس له، واستقرار الأحوال في عهده، ونجاحه في إدارتها، فقد كان تعيين طغربك سلطاناً على السلاجقة، وقائداً لجيوشهم - على الرغم من أنه لم يكن الابن الأكبر لميكائيل حيث كان أخوه جفري بك أكبر منه سناً - بناء على قدرته وشخصيته، الأمر الذي أدى إلى التفاف الجنود، والقبائل حوله، ودعمهم له^(٥).

(١) نظام الملك الطوسي: سياست نامه، ص ٢٠١ - ٢١٤.

(٢) نظام الملك الطوسي: سياست نامه، ص ١٤٥ - ٢٢٣؛ براون: تاريخ الأدب، ص ٢١٠.

(٣) القزويني (أبو عبد الله زكريا محمد بن محمود) ت (٦٨١هـ / ١٢٨٢م): آثار البلاد وأخبار العباد، ج ٢، دار صادر، بيروت، لبنان، ص ٢٦١؛ فاضل الخالدي: النظم في العراق خلال القرن الخامس، بغداد، ١٩٦٩م، ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٤) القزويني: تاريخ كرنه، ص ٤٣٨؛ ظهير الدين النيشابوري: سلجوقنامه، ص ٩١؛ علي محمد الصلابي: المرجع السابق، ص ٢٣٣ - ٢٣٤؛ عصام الدين الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في المشرق، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٤٤.

(٥) البيروني: العراضة، ص ٣٢؛ الحسيني (صدر الدين أبو الحسن علي ناصر بن علي) ت (٦٢٢هـ / ١٢٢٥م): زبدة التواريخ (أخبار الأمراء والملوك السلجوقية)، تحقيق د. محمد نور الدين، الكويت، ١٩٨٥م، ص ١٥ - ١٦.

كان طغرل بك متساعجا مع جنوده، يجزل لهم العطايا، وعندما أراد تولية الحكم من بعده لسليمان ابن أخيه داود وزع على الجند سبعمائة ألف دينار، وثيابا، وأسلحة تساوي مائتي ألف دينار؛ استماله لهم، ولكنهم في النهاية مالوا إلى ألب أرسلان لما له من محبة، ومكانة، ومهابة في قلوبهم، فعندما حكم ألب أرسلان أنفق أموالا طائلة استمال بها قلوب أمراء العسكر^(١)

نخلص مما سبق بشيء مهم جدا، أن الجيش كان له الفضل في تثبيت الحاكم، وحالة الاستقرار للبلاد، وعلى الرغم من أن الحاكم يأتي من البيت السلجوقي، فإن ضمان حكمه، واستتباب الأمور، وأن يدين له الجميع بالولاء، والطاعة، مرهون بمحبة الجيش، ورضاهم عنه، وطاعتهم له؛ لذلك حرص معظم الحكام على كسب ولاء، وتأييد الجيش، وقادته.

لقد اعتمد الفكر العسكري للسلاجقة على الخبرة، والتجربة؛ مما أكسب فكرهم ثقلا، وجودة، وإتقانا. ويذكر الماوردي "أن انعدام الاستفادة من هذين الجانبين من الدلالات الظاهرة على ضعف الدول"^(٢)، وعبرة المار ودي هذه مهمة، وخطيرة؛ لأنها تؤكد على أهمية التجربة، وتحصيل الخبرة،

وقد استعمل بعض سلاطين السلاجقة المشورة العسكرية في أرض المعركة للاستفادة الكاملة من الخبرات المتواجدة في الجيش السلجوقي، وبخاصة ممن لهم خبرة، ودراية واسعة في المجال الحربي.^(٣)

كان للسلاجقة خبرة، وتدريب مستمر، فكان السلطان طغرل بك يهتم بالنصائح التي تقدم له من ذوي الخبرة، والتجربة الواسعة حتى بلغ به الأمر إلى أنه كان يطلب النصيحة بنفسه من أهل الخبرة، وكان له مجلس حرب يعقده مع أكبر قواده، ومن يثق بهم من أهل الخبرة لوضع خطة المعركة.^(٤)

ويذكر نظام الملك الوزير السلجوقي في كتابه: "ينبغي تدبر الأمور باستشارة الحكماء المسنين، وذوي التجارب، والأسفار فاستشارة ذوي الخبرة، والتجربة سبيل للوصول إلى الرأي الصائب"^(٥)، ويذكر أيضا: "كان من عادة الملوك اليقظين أن يرعوا حرمة المسنين المجربين جوابي الآفاق، والعارفين بشؤون الحرب، بأن يجعلوا لكل منهم مقاما، ومنزلة أثرية لديهم، وكان إذا جد طارئ عدواني، وحربي يتخذون التدابير كلها مع من مارسوا الحروب، ولهم فيها خبرات، وتجارب كثيرة. فيأتي الأمر موافقا للهدف المرسوم، وكانوا إذا ما نشبت الحرب يرسلون إليها من خاض غمار المعارك الكبيرة، وهزم الجيوش العديدة، واحتل القلاع، وذاع اسمه في العالم باسم الرجل الشجاع، ويرسلون أيضا شخصا مسنا ممن جابوا البلاد من ذوي الخبرات لتجنب الوقوع في الخطأ..."^(٦)

(١) ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي) ت (٥٩٧هـ / ١٠٤٥م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٨، الهند، حيدر آباد، الدكن، ١٣٥٩هـ، ص ٢٣١-٢٧٧.

(٢) الماوردي (أبو الحسن بن محمد بن حبيب) ت (٤٥٠هـ / ١٠٥٨م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط ٣، عيسى البابي الحلبي، ص ٨٠.

(٣) محمد عبد العظيم يوسف: السلاجقة، ص ٤٧-٤٨، محمد الصلابي: دولة السلاجقة، ص ٢٢٠.

(٤) البيهقي: تاريخ البيهقي، ص ٦٧٤-٦٨٣، ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات إيران، طهران، ١٣٣٦ش، ص ٥٧.

(٥) نظام الملك: سياست نامه، ص ١٢٨.

(٦) نفسه، ص ١٣٠.

ومن القواعد المهمة في الفكر العسكري السلجوقي الجمع بين الرأي والتدبير، والقوة العسكرية، فقد تميز السلطان طغرلبيك، والسلطان ألب أرسلان بأنهما فاتحان عسكريان، وبأنهما من رجال الحرب، والإدارة، وحسن التدبير. (١)

"إن المشورة في الأمور من قوة الرأي، وبخاصة إذا كانت الاستشارة لمن هم على قدر كبير من الخبرة، وسعة التجربة، وصولاً إلى الرأي الصائب الذي يتحتم العمل على أساسه، إن انعدام الشورى، ومناقشة الآراء المختلفة، والاستبداد بالرأي من الدلالات الواضحة على ضعفه، وعدم جدوى العمل به...، وفي مجال السياسة على السلطان أن يحارب الأعداء حرباً تترك باب الصلح مفتوحاً، وأن يصالحهم لا صلحاً لا يوصد باب الحرب، وأن يوطد علاقاته مع الصديق، والعدو بنحو يمكنه من أن يفهم عراها، أو يعيد بناءها أنى يشاء. (٢)

مما سبق يتبين الفهم الجيد، وسعة الأفق التي تميز بها الفكر العسكري السلجوقي الذي حض على التنوع بين العمليات العسكرية، والوسائل الدبلوماسية، بل سبق عصره في فهم الآخر، ووجود آلية للتعامل معه، فقد تشابه مع سياسات العصر الحديث القائمة على قاعدة لا صداقات دائمة، ولا عداوات دائمة، وإنما مصالح دائمة، وعلى الرغم من كونه عسكرياً، فإنه ضمن آليات الشورى، والديمقراطية، وابتعد عن الديكتاتورية، والحكم المستبد المتفرد.

يتمتع بعض قواد السلاجقة بإخلاص نادر وصل إلى حد التضحية بأنفسهم في سبيل خدمة السلطان، وحمانيته، وبالمثل كان السلطان طغرلبيك شديد الإخلاص، والتضحية للخليفة العباسي القائم بأمر الله، فكان لا يعصى له أمراً، كما كان حريصاً على تأمينه من أي خطر قد يواجهه (٣)، ومن سمات الفكر العسكري السلجوقي أيضاً الحيطة، والحذر، والمتابعة، فوضعوا هذه الأشياء نصب أعينهم فقد عرف عن طغرلبيك أنه كان دائماً مستعداً للحرب، فيظل أياماً دون أن يخلع حذائه، ولم ينزع الزرد، وكان يتوسد درعه حين ينام، وإذا كان حال قائد السلاجقة على هذا النحو، فمن اليسير معرفة حال الآخرين. (٤)

وفي عام ٤٢٥هـ / ١٠٣٤م أراد السلطان مسعود الغزنوي محاربة السلاجقة، فجمع مستشاريه، ومجلس حربه، واستقر الرأي على إرسال جيش لمحاربة السلاجقة، عهد بقيادته إلى عشر من قواده، وذهبوا إلى نيسابور، ولم يكن السلاجقة متأهبين للقاء، فهجموا عليه فجأة، وهزموهم هزيمة نكراء، وأسروا، وغنموا منهم الكثير، وانشغل الجيش الغزنوي بجمع الغنائم مما أتاح الفرصة لقواد الجيش السلجوقي لترتيب صفوفهم، ودارت معركة رهيبية بين الجيشين، انتهت بهزيمة ساحقة للغزنويين (٥)، واستولى السلاجقة على ما قيمته عشرة ملايين من الدنانير، ومن الملابس، والأقنعة، والدواب الكثير، وظل قواد السلاجقة، وجيشهم ثلاثة أيام متأهبين بعد المعركة، ولم ينزل أي منهم من ظهر الخيول، والدواب، إلا

(١) محمد الصلابي: المرجع السابق، ص ٢٢٢؛ ذبيح الله صفا: المرجع السابق، ص ٦٠، Osbon: op. cit., p. 8- 9.

(٢) نظام الملك: سياست نامه، ص ٢٩٨ - ٢٩٩.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ٢٠٨، الراوندي: راحة الصدور، ص ١٩١: محمد الصلابي: المرجع السابق، ص ٢٢١.

(٤) البيهقي: تاريخ، ص ٥٠٢ - ٥٢١.

(٥) نفسه، ص ٥٢١؛ محمد عبد العظيم: السلاجقة، ص ٤٨.

لما بدا لهم من مأكل، ومشرب، وغير ذلك^(١)؛ مما يدل على اتخاذهم الحذر، والحيلة، والترقب، والاستعداد لعدوهم لو فكر في العودة إليهم.

اتخذ السلاجقة من التنظيم الدقيق للعلاقة بين الجند، وقادتهم، واحترام التدرج في الرتب العسكرية، وربط ذلك بمبدأ الثواب، والعقاب أساساً من أسس فكرهم العسكري، ويفضل الوزير السلجوقي الشهير نظام الملك هذا التنظيم قائلاً: "إن تكن للجند حاجة ما ينبغي أن تطلب بالسنة قادتهم، ورؤسائهم، لأنهم إن أجيئوا إلى ذلك إجابة حسنة يكونوا قد توصلوا إلى احتياجاتهم بأنفسهم، ويكسبوا احترام أفرادهم، لأنهم طلبوا ما يحتاجون بأنفسهم فنالوه دون حاجة إلى وساطة تذهب باحترامهم لو لجأوا إليها. فإذا تطاول جندي على قائده، ولم يحترمه، أو يرع حرمة، بل تجاوز حده يجب أن يعاقب، كما يمتاز الرئيس عن المروءوس".^(٢) وهذا النظام هو القائم في العالم إلى الآن.

اعتمد السلاجقة في جيشهم على أجناس مختلفة من الأتراك، وجميع الطوائف المتمثلة في القبائل التركمانية، والأكراد، والديلم، والعرب، والفرس "ينبغي أن يؤسس الجيش من كل جنس، وملة، وأن يربط بالقصر ألفاً رجل من الديلم وخراسان... لأن اتخاذ الجيش من جنس واحد مدعاة لظهور الأخطار، والتخريب، والفساد، وعدم الجدية، والبلاء في الحرب".^(٣) وتكمن خطورة الاعتماد على جنس واحد في انعدام التنافس بين أفراد الجيش في مجال الخدمة العسكرية، أما في حالة التعدد في الأجناس، فإن كل جنس منهم يتقاتل في المعارك، والحروب ببسالة، وكيلاً يقول أحد إن الجنود من جنس ما وهنوا في القتال، وتقاعسوا، وكان كل فريق في القتال يبلي حسناً، ويبدل غاية جهده؛ إظهاراً لقدرته، وتفوقه على الآخرين.^(٤)

واتجه الفكر العسكري للسلاجقة إلى زيادة أعداد الفرق العسكرية، حتى صار التفوق العددي للجيش السلجوقي مجالاً رحباً لافتخار السلاطين على أعدائهم، وتهديدهم به^(٥)، يقول نظام الملك مخاطباً السلطان "إن يكن لديك أربعمئة ألف رجل، فليس من شك في أن تستحوذ على خراسان، وما وراء النهر إلى حدود كاشغر، لقد كنت أطمح أن يكون لديك سبعمئة ألف رجل بدلاً من هذه الأربعمئة ألف فلو كان رجالك أكثر لحزت السند، والهند، وكل تركستان، والصين...".^(٦)

(١) الراوندي: راحة الصدور، ص ١٥٥؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٢) نظام الملك: سياست نامه، ص ١٦٣.

(٣) نظام الملك، سياست نامه، ص ١٤٠.

(٤) البيهقي (ظهير الدين أبو الحسن البيهقي) ت (٥٦٥هـ / ١١٦٩م): تنمة صوان الحكمة، نشر لاهور، باكستان، ١٣٥١هـ، ص ١٥٧؛ محمد الصلابي:

المرجع السابق، ص ٢٢٤.

(٥) براون: تاريخ الأدب، ص ٢٢٠.

(٦) نظام الملك: سياست نامه، ص ٢٠٩.

واعتمد السلاجقة على النظام الإقطاعي في النواحي الحربية، والعسكرية فكان هناك إقطاع تملك وإقطاع استغلال، فكان "أهل الجيش هم أخص الناس بجواز الإقطاع"^(١)، ويعد قدوم السلاجقة علامة مهمة في تاريخ امتلاك الأرض نظريا وعلميا، فم يصبح السلطان مجرد حاكم للناس، بل أصبح يتمتع بحقوق الملكية للأراضي التي يحكمها^(٢) قامت فكرة أخذ الرهائن عند السلاجقة من الأمراء بمختلف أجناسهم، ومن أصحاب الإقطاع- وخصوصا من الداخلين في طاعة الدولة حديثا- ضمانا للولاء، والطاعة للسلطان السلجوقي، فإذا ما حدث هؤلاء أنفسهم بالعصيان كان التلويح لهم بقتل رهائنهم الذين كانوا من ذوي القرى لهم، بالإضافة إلى الاستفادة من وجود هؤلاء الرهائن في القيام بمهمات البلاط السلطاني، وقد دخل هذا النظام عند السلاجقة حيز التنفيذ منذ بداية دولتهم، كواحد من النظم التي جلبها السلاجقة معهم من أوطانهم الأولى، حيث كان هذا النظام سائدا لدى بعض القبائل التركية قبل دخولهم الإسلام^(٣)

وترى قائد الجيش، وتدريب على الالتزام، والانسجام بين الحاكم، والمحكومين، وهو ما يدفع الجيش إلى اتباع أوامر القائد دون تردد، ودون خوف من العواقب، كذلك كانت هناك تدريبات مستمرة تجعل الجيش، وقواده على أهبة الاستعداد للحرب دون قلق، أو تردد في أي حين، وكان على القائد دائما مشاورة ذوي الرأي فيما يشمل عليه لئلا يخطئ^(٤)، وكان هناك قاض خاص للجيش ينظر في القضايا الخاصة التي توجد داخل الجيش، ومن شروط من يتولى القضاء أن يكون عالما أميناً زاهداً.^(٥)

شهد الفكر العسكري للسلاجقة استخدام نظام العيون، والجواسيس "يجب بعث العيون في كل الأطراف دائما في زي تجار، وسياح، ومتصوفة، وبائعي أدوية، ودراويش لنقل كل ما يسمعون من أخبار؛ حتى لا يظل ثمة شيء خافيا، وحتى يمكن تلافي أي طارئ جديد في حينه، فما أكثر ما كان الولاة، والمستقطعون، والعمال، والأمراء يضمرون للملك خلافا وعصيانا، ويتربصون به الدوائر سرا، لكن الجواسيس كانوا يكشفون ذلك، ويخبرون الملك به وقته، وينقض عليهم بغتة فيحقيق بهم، ويحبط مآربهم، ويفشل مقاصدهم".^(٦)

لقد امتلك السلاجقة فكرا عسكريا متميزا اعتمد على التنشئة، والتربية العسكرية، والتدريب المستمر، ثم اتخاذ منهج، وإستراتيجية أظهرتهم كأبرع الجيوش في فنون القتال، وتحقيق الانتصارات في معظم المعارك، وكسر قوة، ومقاومة أعدائهم في أحيان كثيرة، وإعاقة خطط الأعداء، وصار النصر حليفاً ملازماً للأتراك السلاجقة في معظم الحروب.

(١) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ١٩٧.

(٢) نفسه، ص ١٩٥.

(٣) الأصفهاني (محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني): تاريخ دولة آل سلجوق، اختصار الشيخ الإمام الفتح بن علي محمد البدر، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، ص ١١١.

(٤) الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ٤٣؛ عبد النعيم حسانين: مسلمو تركستان والغزو السوفيتي من خلال التاريخ والآداب، آداب القاهرة، ١٩٨٥م، ص ١٤-١٥.

(٥) نظام الملك: سياست نامه، ص ٨٣.

(٦) نفسه، ص ١١١؛ حسين أمين: تاريخ العراق، ص ٥٢.

فالقائد البارع هو من يمتلك الحلول، ويكون مبدعا في مجاله الحربي، لديه القدرة على قراءة الواقع بشكل جيد، ويمتلك حاسة تعينه على التنبؤ بالمستقبل، يسير على خطة منظمة، ويضع أمامه هدفا يرغب في تحقيقه، ويستعين بكل أدوات النجاح التي تؤهله إلى تنفيذ خطته، وهذه كانت حال معظم حكام الأتراك السلاجقة، ولاسيما طغرلبيك الذي تشرب الفكر العسكري التركي، وأجاد تطبيقه في شتى الميادين الحربية، والسلمية.

رابعاً: انعكاس الفكر العسكري للسلاجقة على نجاحات طغرلبيك:

لقد حقق السلاجقة عدة انتصارات على مسعود الغزنوي، ثم آل الأمر في نهايته إلى صلح بين الطرفين، وفي عام ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م كان السلطان مسعود عائداً من بلاد الهند فعلم بازدياد نفوذ السلاجقة، وارتفاع شأنهم فراسل أمير خراسان السلطان مسعود قائلاً: "إن أمر السلاجقة قد علا بحيث لا يستطيع أنا، ولا غيري أن نقاومهم".^(١)

قام السلطان مسعود الغزنوي بإمداد سوباشي حاكم خراسان بإمدادات كثيرة، وطلب منه ملاقاته جيوش السلاجقة، والتقى الفريقان عند باب مدينة سرخس، ودارت معركة كبيرة انتهت بانتصار ساحق للسلاجقة، كانت معركة سرخس هي النقطة الفاصلة في تاريخ السلاجقة، حيث ملكوا بعدها خراسان، وكان هذا إنذاراً بقيام دولتهم، حيث سار طغرلبيك إلى نيسابور، ودخلها، بعد أن منح أهلها الأمان، وجلس على عرش السلطان مسعود الغزنوي في ذي القعدة من العام نفسه باسم السلطان طغرلبيك، وأمر أن تقرأ الخطبة باسمه على منابر المدينة، ولقب طغرلبيك نفسه بلقب السلطان المعظم ركن الدنيا، والدين أبي طالب محمد، واستقر بدار السلطنة، ونادى بألا يعترض أحد من السلاجقة بسوء، أو أذى للناس، كما أمر بأن تضرب النقود باسمه في البلاد التي كانت تحت أيديهم.^(٢)

وفي الثامن من رمضان عام ٤٣١هـ / ١٠٤٠م، خرج السلطان مسعود بجيشه الجرار متجهاً إلى مرور، منها إلى نيسابور، وأراد أن يقود معركة قوية للخلاص من السلاجقة، ولكن جيش الغزنويين^(٣) كما وصفه البيهقي "وركب السلطان مسعود، وسار الجند وراءه متخاذلين كأنهم حقا يقدمون رجلاً، ويؤخرون أخرى، وكان اليوم شديد القيظ، والمؤن قليلة، والعلف لا وجود له، والدواب هزيلة، والناس صيام".^(٤) ودارت معركة رهيبة بين السلاجقة والغزنويين انتصر فيها السلاجقة انتصاراً حاسماً؛ حيث إنحلت الصراع بين هاتين القوتين، وكانت الضربة القاسمة للحكم الغزنوي في المشرق. ولم يجرؤ الغزنويين بعدها على التصدي للسلاجقة، أو محاولة استعادة ما فقدوه^(٥)، وكانت هذه المعركة بمكان يعرف بداندنقان^(٦) بين سرخس، ومرو، وعلى الجانب السلجوقي كانت معركة داندنقان من كبريات المعارك الفاصلة في تاريخ

(١) الراوندي: راحة الصدور، ص ١٥٧؛ اليزدي: العراضة، ص ٣٤.

(٢) الراوندي: راحة الصدور، ص ١٥٨؛ البيهقي: تاريخ، ص ٦٠٠ - ٦٠٥؛ بار تولد: تاريخ الترك، ص ٤٤٨.

(٣) حسين أمين: تاريخ العراق، ص ٥٢، بار تولد: الترك، ص ٤٤٨ - ٤٥٠.

(٤) البيهقي: تاريخ، ص ٦٤٧.

(٥) الراوندي: راحة الصدور، ص ١٦٧؛ حسين أمين: تاريخ العراق، ص ٥٣ - ٥٥.

(٦) داندنقان: بلدة من نواحي مرو على بعد عشرة فراسخ من الصحراء، تقع بين سرخس، ومرو، وهي على بعد ٦٠ كم من مرو تقريبا، راجع: ياقوت الحموي:

معجم البلدان، ج ٢، ص ٦١٠؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ليدن، ١٩٦٧م، ص ٣٧٩.

السلاجقة، وتعد مرحلة البدء الحقيقي لتاريخهم، فبعدها أقيمت سلطنة سلجوقية واسعة، والتي كان لطغرل بك شرف تأسيسها^(١)

ويظهر الفكر العسكري جليا في هذه المعركة التي كانت سببا رئيسا في قيام الدولة السلجوقية خلال استغلال أرض المعركة، والاستفادة من المظاهر الجغرافية، ووضع خطة محكمة تجعلهم هم الأسبق في الوصول إلى مكان معركة داندنقان، ويجعلون آبار المياه خلفهم، ويظمسون الآبار القريبة من معسكر الغزنويين، وأجبروا الجيش الغزنوي على أن يقطع مسافة كبيرة في الصحراء، ويصف السلطان مسعود الغزنوي ذلك بقوله: وجدنا الأعداء قد رددوا الآبار، وجعلوها قبورا بأن ألقوا الجيف فيها، مما حرم الجيش الغزنوي من الاستفادة من مياهها، وتعرض للعطش الشديد^(٢)، فقد "بادر السلاجقة على الفور بتغيير مياه آبارها، وتخريبها"^(٣)

أدرك السلاجقة بما تربوا عليه من فكر عسكري متميز، وحسن قراءة لجغرافية المكان، والزمان أهمية مصادر المياه للجيوش الحاربة، ولذلك قاموا أثناء حروبهم مع الدولة الغزنوية بتدمير مصادر المياه لمنع عدوهم من استخدامهم، لكي يشربوا هم وحيولهم دون الآخرين، وهذه السياسة المستخدمة يطلق عليها حديثا سياسة الأرض المحروقة.

كان السلاجقة لديهم فكر عسكري، وتكتيك داخل ميدان المعارك الحربية ميزهم عن سواهم آنذاك، فهناك خطة تطويق العدو، وهو ما اتبعه طغرل بك، وقواده مع الغزنويين في حروبهم معهم، وعلى الرغم من ضخامة الجيش الغزنوي، فإن السلاجقة قد نجحوا في تطويقهم. هذا بجانب الخطط الحربية فيما يخص الالتحام مع العدو؛ حيث كان يتم على مرحلتين، المرحلة الأولى التحم فيها السلاجقة مع الغزنويين لفترة وجيزة، ثم تراجعوا كالمنهزمين نحو كمائنهم، فكان هذا الالتحام المبدئي لإقناع الجانب الآخر بالبدء الفعلي للمعركة، ثم الانتظار قبل بدء تطبيق خطة التراجع الزائف؛ لإيهام الأعداء بالهزيمة، ومن ثم نجاح الكمائن في مفاجأة الأعداء، ومباغتتهم، وتحقيق النصر عليهم، ويعقب ذلك مرحلة الالتحام الكامل، وتظهر فيها جميع الأسلحة السلجوقية.^(٤)

كان فكر طغرل بك بعد تحقيق الانتصار على الدولة الغزنوية يتجه نحو الاتحاد، لأنه يعلم جيدا أن تحقيق أهداف السلاجقة يقتضي جمع الكلمة، وتوحيد الصف السلجوقي، فاجتمع مع أخيه جغري بيك، وعمهما موسى بن سلجوق الذي كان يطلق عليه (بيغو كلان)، ومع أبناء أعمامهم، وكبار قوادهم، وقواد جندهم، وفرسانهم، وتعاهدوا على الاتحاد، والتعاون فيما بينهم، وخطب فيهم طغرل بك قائلا: "إذا نشأ خلاف بيننا لم يتيسر لنا فتح العالم، وتغلب علينا الأعداء، وذهب الملك من أيدينا."^(٥)

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١٦٣؛ حسين أمين: تاريخ العراق، ص ٥٤؛ بار تولد: التركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ترجمة صلاح عثمان هاشم، الكويت، ١٩٨١م، ص ٤٢٨.

(٢) الراوندي: راحة الصدور، ص ١٦٣؛ البيهقي: تاريخ، ص ٦٤٧.

(٣) البيهقي: تاريخ، ص ٦٨٨ - ٦٩٩.

(٤) أبو نصر مبشر الطرازي: عسكريت در إسلام، القاهرة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٢٦ - ٣٣، ولیم الصوري: الحروب الصليبية، ج ٣، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ٢٥٣.

(٥) الراوندي: راحة الصدور، ص ١٦٤ - ١٦٥؛ عبد المنعم حسنين: سلاجقة إيران، ص ٣١ - ٣٢.

وجدد الحضور العهد على تعيين طغربك قائدا أعلى لجيوشهم، وسلطانا على دولتهم، وهد الجميع بأن طغربك يتميز بشجاعة نادرة مع تدين ملحوظ، ودكاء حاد، وكونه رجل حرب من الطراز الأول لديه خبرات، وأفكار عسكرية عالية المستوى^(١)، وضربت السكة باسمه في مدن خراسان، وخطب باسمه في نيسابور منذ عام ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م^(٢) اتجه تفكير طغربك صوب توطيد نفوذ السلاجقة في البلاد التي دانت لهم فاستعان بأفراد البيت السلجوقي لحكم البلاد التي تحت أيديهم؛ حتى يضمن وحدة أفراد الأسرة السلجوقية^(٣)، وقام طغربك بتقسيم البلاد على النحو الآتي: اتخذ جفري بك، وهو الأخ الأكبر مدينة مرو دارا لملكه، واختص بأكثر خراسان، وتنصب موسى على ولاية بست هراة وسجستان^(٤) وما يجاور ذلك من النواحي التي يستطيع فتحها، وتنصب قاورد، وهو أكبر أبناء جفري بك على ولاية الطبسين^(٥)، ونواحي كرمان، ولإبراهيم ينال أخو طغربك من الأم قهستان وجرجان^(٦)، ولأبي علي الحسن بن موسى بن سلجوق بوشبح وبلاد الغور^(٧)، وهي ولاية متداخلة في ولاية أبيه موسى، وتم هذا عام (٤٣٠هـ / ١٠٣٨م).^(٨)

واتخذ طغربك مدينة الري دارا لملكه، وسمح لكل واحد من أفراد البيت السلجوقي أن يفتح ما يشاء من البلاد المجاورة، ويضمها إلى ولايته، على ألا يتعدى الواحد منهم على حقوق الآخر، وهكذا استقر رأي السلاجقة، وقويت شوكتهم، وتوحدت كلمتهم، واتحدت صفوفهم، فبدؤوا يتجهون إلى التوسع الخارجي، وكتبوا بنصرهم إلى خانات التركستان، وأبناء "علي تكين"، وغيرهم؛ لإجبارهم على الاعتراف بهم.^(٩)

(١) حسين أمين: تاريخ العراق، ص ٥٥.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١٦٧.

(٣) الراوندي: راحة الصدور، ص ١٦٥؛ عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة محمد علاء الدين منصور، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٢٣٠ - ٢٣١.

(٤) بست، وهراة، وسجستان: بست مدينة بين سجستان، وغزنة، وهراة من أعمال خراسان، وهما من بلاد ما وراء النهر، وهراة مدينة تبعد عن نيسابور من أعمال خراسان، وفتحها الأحنف بن قيس (تقع ضمن أفغانستان في العصر الحالي). راجع: أبو الفداء، (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن محمد) ت (٧٢٣هـ / ١٣٣١م): تقويم البلدان، باريس، ١٨١٥م، ص ٣٤٥؛ كي لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، نقله للعربية، ووضع فهارسه بشير فرسيس، كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، ط ٢، بيروت، ١٩٨٥م، ص ٤٤٩، سجستان أوزابليستان: إقليم عظيم، وبلد جليل، مدينتها العظمى ست متصلة ببلاد الهند أول من فتحها الربيع بن زياد في خلافة عثمان بن عفان، ثم أتم المسلمون فتحها في عهد معاوية بن أبي سفيان، وهو إقليم يجاوره فارس، وكرمان. انظر: أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٣٤٠؛ القزويني (أبو عبد الله زكريا محمد بن محمود القزويني) ت (٦٨١هـ / ١٢٨٢م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩، ص ٢٠١، لسترانج: بلدان الخلافة، ص ٣٧٢.

(٥) الطبسين، وكرمان: الطبسين مدينة من أعمال خراسان، كرمان ولاية مشهورة بين فارس، ومكران، وسجستان كثيرة الزرع، والمواشي، والتمور. راجع: اليعقوبي: البلدان، ص ٢٩٥؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٨.

(٦) قهستان، وجرجان: قهستان مدينة مشهورة بخراسان فتحها الأحنف بن قيس، جرجان تقع قرب طبرستان بناها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة. راجع القزويني: آثار، ص ٣٤٨، ص ٤٠٢؛ ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ١١٩.

(٧) بلاد الغور أو غورستان: ولاية واسعة موحشة تغلب عليها الطبيعة الجبلية، والمناخ البارد، تقع بين هراة، وغزنة. راجع: الاضطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد) المسالك والممالك، القاهرة، ١٩٦٠م، ص ١٥٣ - ١٥٤؛ لسترانج: بلدان الخلافة، ص ٤٥٨ - ٤٥٩.

(٨) الراوندي: راحة الصدور، ص ١٦٥؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١٦٩؛ البنداري: آل سلجوق، ص ٨ - ١٢.

(٩) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ١٩٤؛ البنداري: آل سلجوق، ص ١٠ - ١٢؛ عباس إقبال: الوزارة في العهد السلجوقي، ترجمة أحمد حلمي، الكويت، ١٩٨٤م، ص ٣٣ - ٣٤؛ بار تولد: الترك، ص ٤٤٨.

الشيء اللافت للنظر أن معظم أفراد البيت السلجوقي كانوا من القادة العسكريين، والحكام، فبنى طغرلبيك إستراتيجية العسكرية على نظام حكم عسكري لا مركزي؛ حيث قسم السلطات بين أفراد الأسرة، لكي يتجنب في المستقبل النزاع حول السلطة، ووزع المهام، ومنع تعدي بعضهم على بعض، بل وجه تفكيرهم صوب التوسع على حساب البلاد المجاورة، حتى ينشغلوا بهدف خارجي عن النزاعات الداخلية التي تفقدتهم قوتهم، وسطوتهم، ولاسيما أنه أخبرهم أن الاتحاد هو سبيلهم لتحقيق أي نجاحات.

ولم يبق أما السلاجقة إلا أن يحصلوا على الاعتراف الشرعي بقيام دولتهم، وهو اعتراف الخليفة العباسي، لأن هذا الاعتراف وحده يحكم نظم هذا العصر هو الذي يكسب الدولة شرعيتها بحكم المناطق التي يسيطرون عليها، فكتبوا إلى الخليفة القائم بأمر الله العباسي (٤٢٢ - ٤٦٧ هـ / ١٠٣٠ - ١٠٧٤ م) عام (٤٣٢ هـ / ١٠٤٢ م)، فلما وصلت رسالة السلاجقة إلى دار الخلافة سر بها الخليفة، وبادر بإرسال رسول إلى السلاجقة هو أبو الحسن الماوردي يحمل معه إلى طغرلبيك الخلع السلطانية التي منحها الخليفة له مع كتاب التفويض بحكم البلاد التي بحوزتهم. (١)

وفي عام (٤٣٤ هـ / ١٠٤٢ م) توجه طغرلبيك إلى خوارزم فأخضعها للسلاجقة في الوقت الذي كان أخوه غير الشقيق إبراهيم ينال قد استولى على همدان، وما جاورها، ثم التقى طغرلبيك مع إبراهيم ينال، وسارا معا إلى كرمان؛ طمعا في الاستيلاء عليها غير أن الملك البويهى أبا كالجبار، كان قد سير عدة جيوش تمكنت من صد السلاجقة عنها. وفي العام نفسه واصل طغرلبيك فتوحاته في الغرب، فسار إلى قزوین، واحتلها، وتمكن من بسط سيطرته على أبهر، وزنجان (٢) وقد نال السلاجقة الانتصار في هذه المعارك بإتباعهم فكرا عسكريا قائما على تعدد التكتيكات في القتال، والحرب، وكان جيشهم في هذه الحروب كأى جيش إسلامي خماسيا أي مكون من: مقدمة، ومؤخرة، وقلب، وميمنة، وميسرة، وقبل البدء في المعارك كانت تشكيلات قوات الأتراك السلاجقة على هيئة صفوف متراصة يحملون سيوفهم، وأقواسهم، ويبدون متأهبين للقتال في أي لحظة، بالإضافة إلى صيحاتهم المتعالية لمحاولة منع عدوهم من الاقتراب، وإرهابه بصوت طبولهم التركية القوية، التي لم تكن أصواتها على وتيرة واحدة؛ مما يدخل في روع السامع لها أنها ذات طابع هجمي. (٣)

وقد دانت عديد من البلدان تحت أقدام طغرلبيك، والسلاجقة لما نشأوا، وتربوا عليه من فكر، وإستراتيجية عسكرية رائعة، لقد كان السلاجقة فرسانا بطبيعتهم، وكانوا على اختلاف أعمارهم يقضون معظم حياتهم على ظهور الخيل في بيئة بدوية لا تعرف غير الحرب، والقتال، وهي البيئة التي نشأوا فيها، وهاجروا منها. (٤)

(١) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ٨، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٣٥٨ هـ، ص ١٤؛ الراوندي: راحة الصدور، ص ١٦٨ - ١٦٩؛ البنداري: آل سلجوق، ص ٩.

(٢) ابن الوردي (السراج أبي حفص عمرو): خريدة العجائب وفريدة الغرائب، القاهرة، ١٣٦٩ هـ، ص ٢٥٠، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٢١٢؛ القزويني: تاريخ كبرية، ص ٢٥٤.

(٣) أبو نصر مبشر الطرازي: عسكريت در إسلام، القاهرة، ١٩٨٦ م، ص ٢٦ - ٣٣؛ محمد عبد العظيم: السلاجقة، ص ٣٧١.

(٤) الراوندي: راحة الصدور، ص ١٤٥ - ١٤٧؛ ابن بي بي (علامة يحيى بن محمد): سلجوق نامه، ترجمة محمد زكريا، لاهور، ١٩٤٥ م، ص ١٠ - ١١.

أمر طغرل بك أخاه إبراهيم ينال عام (٤٣٧هـ / ١٠٤٥م) بالمسير إلى بلاد الجبل، وهمدان، ونجح إبراهيم في دخول بلاد الجبل، وهمدان^(١) وقضى على حكم أسرة علاء الدولة بن كاكويه^(٢) الموالية للبيهيين، ثم توجه إلى قرميسين^(٣) فاستولى عليها كما استولى على حلوان^(٤)، ودخلت جيوشه مدينة خانقين^(٥)، فامتد بذلك النفوذ السلجوقي إلى الأقسام الغربية، والوسطى، والشرقية من إيران، بل إن إبراهيم ينال اختار عام ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م أن يقوم بمهمة الغازي فأرسل جماعات وفيرة العدد إلى حدود بيزنطة، حيث صبغ السلاجقة حربهم بصبغة الجهاد الديني^(٦).

لما فرغ طغرل بك من فتح الأجزاء الجنوبية من إيران، اتجه نحو أذربيجان، وآران عام (٤٤٦هـ / ١٠٥٤م)، وأتم فتحها، ثم قصد تبريز، وأرمينية، وحاصر ملاذكرد التي كانت خاضعة للنفوذ البيزنطي، ولما عجز عن فتحها عاد إلى الري، وبعدها بدأ يستعد للخطوة الفاصلة في تاريخ دولته، وهي دخول السلاجقة بغداد، والعراق^(٧).

ظهر الفكر العسكري جلياً في انتصارات السلاجقة السابقة، فقد نجح السلاجقة في استخدام خطة، وتكتيك تطويق جيوش أعدائهم على الرغم من ضخامة هذه الجيوش، كذلك استخدم السلاجقة مع البيزنطيين خطة التراجع الزائف، وتقوم على الفرار من أرض المعركة في محاولة ناجحة لإغراء البيزنطيين بملاحقتهم؛ حتى يوقعوهم بعد ذلك في الكمائن، لينهالوا عليهم بسرعة خاطفة، وهي أبرز سمات حروب الترك بالسهم التي كانوا يصوبونها بمهارة فائقة، فتمكنوا خلال هذا الفكر، والتكتيك الحربي من غزو عديد من البلدان والأقاليم مثل: إيران وأذربيجان، ومعظم بلاد ما وراء النهر^(٨).

وواصل طغرل بك سياسته التوسعية، وأرسل إلى نصر الدولة بن مروان حاكم ديار بكر عام (٤٤١هـ / ١٠٥٠م) أن يخطب له في بلاده، فأجاب طلبه. وفي سنة (٤٤٢هـ / ١٠٥١م) حاصر طغرل بك أصفهان، وبعد حصار دام عاماً كاملاً، تمكن من ضمها إلى حوزته، واتخذها مقراً لحكمه بدلاً من الري^(٩).

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٢١٩ - ٢٢٠؛ إقبال: إيران، ص ٢٣٢.

(٢) الكاكويه: دولة الأكراد الكاكويه قامت على أنقاض الحكم البويهي في إقليم الجبل، ومؤسسها علاء الدولة بن كاكويه، وكلمة كاكويه تعني الخال بالفارسية، وكان ذلك عام (٣٩٣هـ / ١٠٠٢م)، وهو أن خال والده مجد الدولة بن فخر الدولة بويه، ودخل في حروب مع البويهيين، ومع الغزنويين، ومع الغز الأتراك، وخلفه في الحكم ابنه ظهير الدين أبو منصور فراموز عام (٤٣٣هـ / ١٠٤١م)، واستطاع إبراهيم ينال أن يقرر الخطبة لأخيه طغرل بك عام (٤٣٨هـ / ١٠٤٦م). راجع: أبو الفداء: المختصر، ج ٢، ص ١٧٦؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٢١١ - ٢١٣؛ الحسيني: أخبار، ص ١١.

(٣) قرميسين: بلد معروف قرب همدان، والدينور، حلوان، ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٣٣.

(٤) حلوان: بلدة في حدود السودان مما يلي الجبال من بغداد، وقيل إنها سميت بحلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة؛ حيث كان بعض الملوك قد أقطعه إياها، وهي تقع بين همدان، وبغداد. ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ٢٩٠؛ القزويني: آثار البلاد، ص ٣٥٧.

(٥) خانقين: بلدة من نواحي السواد في طريق همدان من بغداد. ياقوت: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٤١.

(٦) ابن الجوزي المنتظم، ج ٨، ص ١٨٢؛ ابن كثير (عماد الدين إسماعيل بن عمر أبو الفداء): البداية والنهاية، ج ١٢؛ القاهرة، ١٩٤٨م، ص ٥٨.

(٧) ابن الوردي (سراج الدين أبو حفص عمر): تنمة المختصر في تاريخ البشر المعروف بتاريخ ابن الوردي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٣٥١؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٢٢٤؛ أحمد معوض: أضواء، ص ٦٢.

(٨) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٢٠٠ - ٢٠١؛ البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق، ص ٤٢؛ محمد الصلابي: السلاجقة، ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٩) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٣٣٠ - ٣٣٤؛ السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين): تاريخ الخلفاء، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ١٦٧.

وبعد عام (٤٤٧ / ١٠٥٥ م) العام الفصل في تاريخ السلاجقة، ففي هذا العام دخل طغرلبيك العراق عن طريق حلوان في وقت كانت الخلافة العباسية، وخليفته القائم بأمر الله العباسي في حالة يرثى لها من الضعف، والرهن، فقد كانت أهواء البويهيين الشيعة تتلاعب بعاصمة الخلافة؛ ولذا أعد طغرلبيك عدته من أجل القضاء عليهم.^(١)

ومن الصعاب التي أرقّت الخلافة العباسية، ازدياد النفوذ الفاطمي في بلاد العراق على يد (هبة الله الشيرازي)، الذي قام بدور مهم في نشر الدعوة الفاطمية للخليفة المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م) في بلاد العراق، وفارس، واستطاع جذب الملك الرحيم البويهي إلى دعوته.^(٢)

وإزاء هذه الأخطار التي هددت الخلافة العباسية داخليا، وخارجيا فكر الخليفة العباسي القائم بأمر الله في استدعاء الأتراك السلاجقة لحمايته، وضبط الأمور في العراق، وحماية المذهب السني مذهب الخلافة العباسية، والسلاجقة.^(٣)

كان السلطان طغرلبيك ذكيا لمحا، فلم تكن تلك الأخطار التي كانت تعاني منها الخلافة العباسية خافية عليه، فقد امتلك قراءة جيدة للأحداث، وحسن متابعة لتطورات الأمور، فهو قائد عسكري متربص بفريسته، وعندما يأتي الوقت المناسب ينقض عليها بلا تردد، وبالفعل وجد طغرلبيك في طلب الخليفة العباسي الفرصة المناسبة لمواصلة جهود السلاجقة لبسط نفوذهم على العراق.

وفي أواخر شهر رمضان عام (٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م) دخل طغرلبيك بغداد عن طريق حلوان بحجة القضاء على الخلافة الفاطمية، ومساندة الخليفة العباسي على عدوه البسا سيري، والفواطم الشيعة، وأنه يحترم الملك الرحيم البويهي، وهدف من وراء هذا الخداع العسكري، والفكر الحربي عدم إثارة شكوك الملك الرحيم البويهي حتى لا يستعد لحربه.^(٤) وعندما علم الخليفة العباسي بدخول طغرلبيك بغداد، أمر أن يذكر اسمه في الخطبة، وأن يكون لقبه (السلطان ركن الدولة أبو طالب محمد بن ميكائيل يمين أمير المؤمنين) على أن يذكر بعده اسم الملك الرحيم البويهي، وهكذا رضيت الدولة البويهية أن تكون تابعة للسلاجقة آملة بذلك أن يتاح لها نوع من البقاء.^(٥)

(١) الراوندي: راحة الصدور، ص ١٦٩؛ أبو الفداء: المختصر، ج ١، ص ١٧٣؛ حسين أمين: تاريخ العراق، ص ٥٨.

(٢) الشيرازي (المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي): سيرة المؤيد في الدين داعي الدعوة، ترجمة حياة بقلمه، تحقيق محمد كامل حسين، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٤٩ م، ص ٤٩؛ مصطفى غالب: تاريخ الدولة الإسماعيلية، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥ م، ص ٢٣٦.

(٣) البنداري: آل سلجوق، ص ١٤ - ٢٦؛ ابن تغري بردي (أبو المحاسن جمال الدين يوسف)، ت (٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج ٥، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٣ م، ص ٥٧.

(٤) الراوندي: راحة الصدور، ص ١٧٠؛ أبو الفداء: المختصر، ج ٢، ص ١٧٣ - ١٧٤؛ ابن ميسر (محمد بن علي بن يوسف): تاريخ مصر، القاهرة، ١٩١٩ م، ص ٣٧، عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران، ص ٣٩.

(٥) البغدادى (أبو بكر أحمد بن علي) ت (٤٦٣ هـ): تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ج ٩، بيروت، ١٩٩٢ م، ص ٣٩٩ - ٤٠٢، ابن خلدون (عبد الرحمن محمد بن جابر)، ت (٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ج ٣، بيروت، ١٩٨١ م، ص ٤٥٩، المقرئ (تقي الدين أحمد) ت (٨٤٥ هـ / ١٤٠٥ م): اتعاظ الخنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق الشيال، محمد حلمي، ج ١، القاهرة، ١٩٧١ م، ص ٢٣٣؛ ابن الوردي (سراج الدين أبو حفص عمر بن الفوارسي) ت (٧٤٩ هـ): تنمة المختصر في تاريخ البشر (المعروف بتاريخ ابن الوردي)، ج ١، دار المعارف، القاهرة، ١٨٦٨ م، ص ٣٥٥.

وبدخول طغرل بك بغداد، فقد تحقق للسلاجقة ما كانوا يطمحون إليه، فقد جاؤوا الخلافة العباسية، رمزهم الديني في عقر دارها، بل جعلوا من الدولة البويهية دولة تابعة لهم، ودخل طغرل بك بغداد دخول الفاتحين.

لم يتوقف فكر طغرل بك عن هذا الحد تجاه الدولة البويهية، فقد كان منهجه في الفكر العسكري قائما على وضع خطة يستأصل بها شأفة البويهين، فبعدما زاد شأن طغرل بك، وقويت شوكته في بغداد قبض على الملك الرحيم البويهى، وعلى كبار أمراء الجند، وأرسله مقيدا إلى قلعة (طيرك بالري)، وظل هناك حتى توفي عام (٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)، وموته يسدل الستار عن الدولة البويهية؛ لتحل محلها دولة تركية جديدة تتحكم في مصائر الخلافة العباسية. (١)

كانت الإستراتيجية الحربية التي اتبعها طغرل بك، ومن خلفه الأتراك السلاجقة تتضمن غير تكتيك، استخدم فيها عدة عوامل حققت له انتصارات ساحقة منها على سبيل المثال الاستفادة من العوامل الجغرافية، وتوظيفها لصالحه، والانسجام بين الحاكم، والمحكومين، والتدريب المستمر، وحسن اختيار الزمان والمكان، وشجاعة القائد، وحسن خلقه، وحزمه، وصرامته بذلك حقق النجاحات.

اتجه طغرل بك بفكره العسكري نحو استتباب الأمور، والتقرب من الخلافة بطريقة سليمة، وزيجة سياسية. ففي عام (٤٤٨هـ / ١٠٥٦م) تزوج الخليفة العباسي القائم بأمر الله من أرسلان خاتون خديجة ابنة داود، أخو السلطان طغرل بك، وبذلك نجح طغرل بك في توطيد عرى المصاهرة مع البيت العباسي. (٢)

وفي غمرة الانتصارات التي حققها طغرل بك قام القائد التركي أبو الحارث أرسلان البسا سيري بدخول الموصل، وخطب فيها للمستنصر بالله الفاطمي بعد انتصاره في موقعة سنجار عام (٤٤٨هـ / ١٠٥٦م) على قريش بن بدران، وقتل مش بن إسرائيل ابن عم طغرل بك، فطلب الخليفة العباسي من طغرل بك الخروج لمحاربة البسا سيري، وإعادة ملكه، ونفوذ الخلافة العباسية على الموصل، فسار طغرل بك إليها، ودخلها، وأعاد الخطبة للخليفة العباسي القائم بأمر الله. وسر بذلك الخليفة، واستعد للاحتفاء بقدوم السلطان السلجوقي المنتصر. (٣)

وفي أواخر عام (٤٤٩هـ / ١٠٥٧م) قابل طغرل بك الخليفة العباسي، وعند قدومه قبل الأرض بين يدي الخليفة، وقبل يديه فقال له الخليفة: "... شاكر لسعيك حامد لفضلك مستأنس بقربك، قد ولاك أمير المؤمنين جميع ما ولاه الله من بلاده، وورد عليك مراعاة عبادته، فاتق الله فيما ولاك، واعرف نعمته عليك في ذلك، واجتهد في نشر العدل، وكف الظلم، وإصلاح الرعية". (٤)

(١) الراوندي: راحة الصدور، ص ١٦٩ - ١٧٠؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٢١٣.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٢١٣؛ الشيرازي: السيرة المؤيدية، ص ١٠٩ - ١١٦، محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، ١٩٦٦م، ص ١٨٢ - ١٨٣.

(٣) المقرئ: اعطاء الخفاء، ج ٢، ص ٢٣٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ٢، ص ٦٨؛ البنداري: آل سلجوق، ص ١٥؛ حسن إبراهيم حسن: الدولة الفاطمية، دار النهضة المصرية، ١٩٤٨م، ص ١٩٠.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ١٨١.

ونقل عميد الملك للسلطان السلجوقي (الذي كان لا يتكلم العربية) كلام الخليفة، فقام، وقبل الأرض دفعات وقال: أنا خادم أمير المؤمنين، وعبد، ومتصرف على أمره، ودينه، ونهيه، ومتشرف بما أهلي له، واستخدمني في، ومن الله أستمد العون والتوفيق، ثم أمر الخليفة بمنحه الخلع، وأن يسلم إليه العهد. ^(١) وبذلك تأصلت فكرة السلاجقة في رفع شعار الجهاد في سبيل الله، والعمل في خدمة خليفة المسلمين، فقد أعلن السلاجقة منذ بدايتهم دفاعهم عن الإسلام، والزود عنه، وطاعة الخليفة العباسي، فشكل الجهاد ركنا أساسيا من الأسس المهمة في فكر السلاجقة العسكري. لم ينعم طغرلبيك طويلا بهذه الانتصارات التي حققها فقد خرج عليه أخوه غير الشقيق إبراهيم ينال عام (٤٥٠ / ١٠٥٨ م)، وراسل البسا سيري، والمؤيد في الدين داعي الدعاة للدخول في طاعة الفاطميين، والدعاء لهم في مناطق نفوذه، لكن طغرلبيك استأصل شأفة أخيه، وقتله بالموصل عام (٤٥٠ / ١٠٥٨ م). ^(٢)

والشيء اللافت للنظر سرعة تحرك طغرلبيك والتعامل بحزم مع الأمر، والقضاء على الفتنة التي تدعو للمد الشيعي، وقتل طغرلبيك أخاه مروج هذا المد. ومن ذلك يتضح جليا أن هدف طغرلبيك الجهادي لم يغب لحظة عنه، ولم يهادن فيه، أو يتبع طرقا دبلوماسية، بل اتصف بالشجاعة، والحزم، وسرعة اتخاذ القرار، فنال إعجاب الجميع.

وطمع البسا سيري في دخول بغداد لضعف الخلافة، وانشغال طغرلبيك بحرب أخيه، واصطحب معه قريش بن بدران الذي شق هو الآخر عصا الطاعة على طغرلبيك، وتمكن من دخول بغداد عام (٤٥٠ / ١٠٥٨ م) دون مقاومة، ورحب به أهل الكرخ الشيعة ^(٣)، واستطاع البسا سيري أن يجوب أرجاء بغداد، ويعلن الدعوة للخليفة الفاطمي، ويسقط الدعوة العباسية، ويقوم بنفي الخليفة العباسي إلى بلدة عانة، ومن هناك كاتب الخليفة السلطان السلجوقي طغرلبيك الذي كان يقضي على ثورة أخيه المتمرّد إبراهيم ينال ^(٤)، وجاء من كتاب الخليفة "بحق الله أدرك الإسلام فقد ساد العدو اللعين". ^(٥)

وجهاز طغرلبيك جيشا كبيرا لقتال البسا سيري عام (٤٥١ / ١٠٥٩ م)، وخرج معه أعوانه، وفي معركة رهيبة قتل البسا سيري، وحملت رأسه إلى السلطان طغرلبيك، وفي يوم الاثنين عام (٤٥١ / ١٠٩٥ م) دخل الخليفة العباسي بغداد مع السلطان طغرلبيك دخول الفاتحين المنتصرين. ^(٦)

(١) الرواندي: راحة الصدور، ص ١٧٠، ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ١٨١-١٨٣، ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٢٣٧.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٢٢٦؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٥، ص ١٠٥؛ المقرئ: اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٤٣؛ البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٤٠٢.

(٣) البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٩، ص ٤٠١-٤٠٢، ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ١٩١؛ المقرئ: اتعاظ الحنفا، ج ٢، ص ٢٤٣.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ٢٠٣-٢٠٥؛ محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، ص ٢٠٤.

(٥) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٢٢٥-٢٢٦؛ أبو الفداء: المختصر، ج ٢، ص ١٧٨.

(٦) الرواندي: راحة الصدور، ص ١٧٥؛ ابن دحية (أبو الخطاب عمر بن الحسن): النبراس في تاريخ بني العباس، تحقيق عباس العزاوي، بغداد، ١٩٤٦ م، ص ١١٩.

هكذا أصبح طغرل بك هو سيد الموقف بلا منازع، مما زاد نفوذ السلاجقة في العراق، وبخاصة أنهم قضوا على أخطر ثورة فكرية عسكرية هددت الخلافة العباسية، والتي لو قدر لها النجاح لتغير وجه التاريخ الإسلامي كله، ولا زالت الخلافة العباسية من الوجود عام (٤٥٠هـ / ١٠٥٨م) قبل زوالها على يد المغول عام (٦٥٦هـ / ١٢٥٨م).

ولقد بلغت الجرأة بطغرل بك أن أقدم عام (٤٥٤هـ / ١٠٦٢م) على طلب الزواج من ابنة الخليفة العباسي القائم بأمر الله، وهكذا يكون السلطان السلجوقي قد تخطى بعمله هذا كل التقاليد العباسية، إذ لم يسبق لأمر أعجمي أن تقدم لمصاهرة البيت العباسي من قبل، واستاء الخليفة من طلب الزواج، ولكن عوامل الضعف، والخوف جعلت الخليفة يوافق مضطراً على هذه المصاهرة. (١)

ولقد قصد طغرل بك من وراء هذه الزيجة تحقيق أهداف سياسية بحتة تبعد بها عن أن تكون خالصة لوجه الزواج، ولكن هذه الزيجة لم ينجم عنها شيء، فقد كان طغرل بك عقيماً بالإضافة إلى تقدمه في السن، كما أنه كان وقت الزواج عليلًا، فمات طغرل بك دون أن يترك ولداً يخلفه في السلطنة، وكان ذلك يوم الجمعة عام (٤٥٥هـ / ١٠٦٣م) عن عمر يناهز السبعين عاماً. (٢)

ولكن طغرل بك ترك دولة قوية، راسخة الأركان، ثابتة البنيان أخذت في النماء، والازدهار، وبلغت أقصى اتساعها في غضون عقدين من الزمان بعده فصار يرهبها الأعداء ويخطب ودها الكبير والصغير، وأوسعت قبضتها على المشرق والمغرب (٣)، ونجح بذلك الفكر العسكري للأتراك السلاجقة في عهد طغرل بك في تحقيق الأهداف، والخطة المرسومة على أكمل وجه.

الخاتمة

جاء السلاجقة بقيادة طغرل بك في فترة انحطاط القوة الإسلامية الأخرى من عباسية سنية، وفاطمية شيعية، ونجحوا في توحيد المشرق الإسلامي من جديد، فأعطوا المسلمين الحيوية، والنشاط في الجهاد ضد الصليبيين، وكان طغرل بك المؤسس للدولة السلجوقية في نيسابور عام (٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) من السلاطين العظام أصحاب الفكر، والريادة، والرؤية الشاملة فنجح بفكره في وضع الأسس، والقواعد لتوطيد أركان دولته.

كان لدى السلاجقة فكرهم العسكري الخاص بهم، والذي ميزهم عن غيرهم، وتجسد فكرهم العسكري في التربية، والتنشئة الحربية العسكرية للأبناء ورفع شعار الجهاد في سبيل الله، كان لديهم أيضاً التركيز على الهدف والبعد عن التشتت، الخطط الحربية المتنوعة، والتكتيكات المبتكرة، حسن استغلال العوامل الجغرافية في حروبهم، وكذلك الإدارة الحربية للمعارك، والحرص على كسب ولاء الجيش، وقادته، والإخلاص، والتضحية، والحيطة، والحذر، والمتابعة، والتدرج

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج ٨، ص ٢١٩، البنداري: آل سلجوق، ص ٢١.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٧-٩، الحسيني: أخبار الدولة السلاجقة، ص ٢٣، البنداري: آل سلجوق، ص ٢٨.

(٣) عباس إقبال: إيران، ص ٢٤٠؛ أحمد معوض: أضواء على تاريخ المشرق، ص ٧٢.

في الرتب، والخدم، والشائعات، والجمع بين الرأي، والتدبير، والقوة العسكرية، وتقسيمات الجيش، ونظم الإدارة العسكرية، وغيرها من الأفكار العسكرية التي ضمنت لهم السيادة، والسطوة، والسيطرة.

امتلك طغرلبيك، والأترك السلاجقة مهارة حربية توصلوا إليها خلال فكرهم العسكري، وتدريباتهم الحربية المستمدة، تجسدت هذه المهارة في قدرتهم على الهجوم في الوقت الذي يبدو فيه أمام عدوهم أنهم عاجزين عنه، وعندما ينامون، ويتحركون بقواتهم، يبدو كأنهم حاملون، وعندما يقتربون يجعلون العدو يظن أنهم بعيدن، وعندما يكونون بعيدين يجعلون العدو يظن أنهم قريبون.

كان لدى السلاجقة فكر عسكري مدعوما بفهم سياسي، ورؤية واضحة، ومنهج، وخطة في إدارة الشؤون السياسية، والحربية لدولتهم، وامتازت أفكارهم بالابتكار، والتنوع، وكل ما هو جديد، ويواكب العصر فصارت لديهم فلسفة عسكرية خاصة بهم، والفكر العسكري، والفهم السياسي هما وجهان لعملة واحدة لا ينفصلان عن بعضهما بعضا؛ لأن الرؤية السياسية السليمة واضحة المعالم يلزمها فكر عسكري يحميها، ويقدم لها العون، والدعم، ولا سيما في هذا العصر (موضوع الدراسة) الذي حمل شعار الحكم لمن غلب، والبقاء للأقوى.

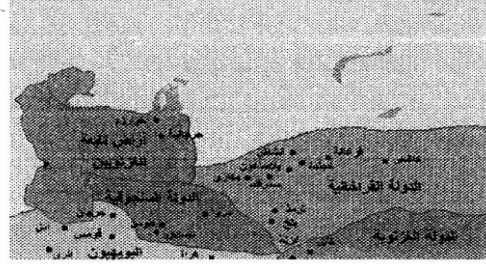
الروح المعنوية المرتفعة، وسرعة رد الفعل، والكمائن، وسرعة الانقضاض على العدو حقائق أدركها السلاجقة بفكرهم، وأيقنوا أنه إذ طال أمد الحملة العسكرية، فموارد الدولة لن تواكب نزيف النفقات العسكرية، واتبعوا القاعدة العسكرية التي تقول: أجنب العتاد الحربي معك من خطوطك الخلفية. أما المشرب، والمطعم فمن أرض العدو.

قدم الأترك السلاجقة بقيادة طغرلبيك نموذجا فكريا عسكريا رائعا خلال حروبهم أظهر حقيقة جلية، وهي أن التظاهر بحدوث حالة من الفوضى؛ لإغراء العدو بالهجوم يتطلب مقدما كشرط أساسي حالة انضباط تام، للخروج بسرعة من حالة الفوضى الزائفة إلى حالة الانضباط من أجل الانقضاض السريع على العدو المهاجم، والتظاهر بالجن يستلزم الشجاعة، والتظاهر بالضعف لإعطاء العدو الشعور بالغلبة يستلزم القوة، والمقدرة.

وقد أثبتت الدراسة، أهمية، وقيمة الفكر، والفكر هو أساس الوصول للخطة، والتكتيك، وتحقيق الأهداف، ولن تحقق رؤية إستراتيجية يأتي خلالها نصر حربي، أو سياسي طالما غاب عن الحاكم، أو القائد الفكر، وهذا يؤدي إلى جو من الضبابية، وعدم وضوح للرؤية.

وبعد عقود من الزمن تأثرت الدولة الزنكية، والأيوبية، والمملوكية بالنظم الحربية، والفكر العسكري، والأسس الإدارية، والمدارس النظامية للسلاجقة، وهذا يؤكد حقيقة جلية، وهي أن التأثير في الأجيال يحتاج إلى وقت حتى تجني الأمة ثمارها، وتوصي الدراسة بأن يكون هناك خطة، ومنهج، وإستراتيجية تعتمد على فكر ناضج، وقيادة حكيمة؛ حتى تحقق الأمم ما تصبو إليه من نجاحات مبنية على أساس علمي واضح المعالم والأبعاد.

ملحق خريطة الدولة السلجوقية وجيرانها



قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية والمعربة:

- ابن الأثير (علي بن أحمد): الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٦٥م.
- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القاهرة، ١٩٦٠م.
- الاصرطرخي (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد): المسالك والممالك، القاهرة، ١٩٦٠م.
- الأصفهاني (محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني): تاريخ دولة آل سلجوق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.
- البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي) ت (٤٦٤هـ): تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٢م.
- البنداري (الفتح بن علي محمد): تاريخ دولة آل سلجون، دار الآفاق، بيروت، ١٩٨٠م.
- البيهقي (أبو الفضل محمد بن الحسين): تاريخ البيهقي، ترجمة يحيى الخشاب، صادق نشأت، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٦م.
- البيهقي (ظاهر الدين أبو الحسن البيهقي) ت (٥٦٥هـ / ١١٦٩م): تتمه صوان الحكمة، نشر لاهور، باكستان، ١٣٥١م.
- ابن تغري بردي (أبو المحاسن جمال الدين يوسف) ت (٨٧٤هـ / ١٤٧٠م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتاب المصرية، القاهرة، ١٩٣٣م.
- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي) ت (٥٩٧هـ / ١٠٤٥م): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، حيدر آبار. الدكن، الهند، ١٣٥٩م.
- الحسيني (صدر الدين أبو الحسن بن علي) ت (٦٢٢هـ / ١٢٢٥م): أخبار الدولة السلجوقية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٤م.
- _____: زبدة التواريخ (أخبار الأمراء والملوك السلجوقية)، تحقيق محمد نور الدين، الكويت، ١٩٨٥م.
- ابن حوقل: صورة الأرض، ليدن، ١٩٦٧م.
- ابن خلدون (عبد الرحمن محمد بن جابر) ت (٨٠٨هـ / ١٤٠٥م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، بيروت، ١٩٨١م.

- ابن دحية (أبو الخطاب عمر بن علي حسين بن سبط) ت (٦٣٣هـ / ١٠٥٣م): النبراس في تاريخ بني العباس، تحقيق عباس العزاوي، بغداد، ١٩٤٦م.
- الراوندي (محمد بن علي بن سليمان): راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة إبراهيم الشواربي، فؤاد الصياد وآخرون، القاهرة، ١٩٦٠م.
- السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين): تاريخ الخلفاء، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.
- الشيرازي (المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي): سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، ترجمة حياة بلقمة، تحقيق محمد كامل حسين، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٤٩م.
- ابن العبري (غريغوريوس أبو الفرج): مختصر تاريخ الدول المعروف بتاريخ ابن العبري، بيروت، ١٩٨٣م.
- أبو الفداء (الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن محمد) ت (٧٣٢هـ / ١٣٣١م): تقويم البلدان، باريس، ١٨١٥م.
- الفردوسي (أبو القاسم محمد): الشاهنامه، ترجمة الفتح بن علي البنداري، تحقيق عبد الوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.
- _____: المختصر في أخبار البشر، القاهرة، ١٣٢٥م.
- القزويني (أبو عبد الله زكريا محمد بن محمود) ت (٦٨١هـ / ١٢٨٢م): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م.
- ابن كثير (عماد الدين إسماعيل بن عمر أبو الفداء): البداية والنهاية، القاهرة، ١٩٤٨م.
- كرديزي (أبو سعيد عبد الحي بن الضحاك): زين الأخبار، ترجمة عفاف زيدان، القاهرة، ١٩٨٢م.
- الماوردي (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب) ت (٤٥٠هـ / ١٠٥٨م): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٣م.
- المقديسي (شمس الدين أبو عبد الله البشاري) ت (٣٨١هـ / ١٩٩١م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن، ١٩٠٦م، ط دار إحياء التراث العربي، صححه وفهرسه د. محمد مخزوم، ١٩٨٧م.
- المقرئ (تقي الدين أحمد) ت (٨٤٥هـ / ١٤٤١م): اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق الشيال، محمد حلمي، القاهرة، ١٩٧١م.
- نظام الملك الطوسي (الحسن بن إسحاق بن العباس أبو علي) ت (٤٨٥هـ / ١٠٩٢م): سياست نامه، ترجمة يوسف بكار، قطر، ١٩٨٧م، ترجمة محمود العزاوي، القاهرة، ١٩٧٥م.
- ابن ميسر (محمد بن علي بن يوسف): تاريخ مصر، القاهرة، ١٩١٩م.
- ابن الوردي (السراج أبي حفص عمرو): خريدة العجائب وفريدة الغرائب، القاهرة، ١٣٩٦م.
- _____: تنمة المختصر في تاريخ البشر (المعروف بتاريخ بن الوردي)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.

- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب) ت (٢٨٤هـ / ٨٩٧م): كتاب البلدان، ليدن، ١٨٩١م.
- وليم الصوري: الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.
- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي) ت (٩٢٦هـ / ١٢٢٩م): معجم البلدان، ١٠ أجزاء، القاهرة، ١٩٠٦م، ٥ أجزاء، ط دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م.
- اليزدي (ابن النظام اليزدي الحسيني): العراضة في الحكاية السلجوقية، ترجمة وتحقيق د. عبد المنعم حسانين وآخرون، بغداد، ١٩٧٩م.

ثانياً: المصادر الفارسية:

- ابن بي بي (علامة يحيى بن محمد): سلجوق نامه، ترجمة محمد زكريا، لاهور، ١٩٤٥م.
- خواندمير (غياث الدين بن همام الدين): تاريخ حبيب السير في معرفة أخبار أفراد البشر، طبعة بومباي، ١٢٧٣هـ / ١٨٥٨م.
- ظهير الدين النيشابوري: سلجوقنامه، الطبعة الأولى، طهران، ١٣٢٢هـ / ١٩٥٤م.
- القزويني (حمد الله المستوفي) ت (٧٥٠هـ / ١٣٥٠م): تاريخ كزيرة، نشر إدوارد براون، ليدن، ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م.

ثالثاً: المراجع العربية والمعربة:

- أحمد السعيد سليمان: تأصيل ما ورد في تاريخ الجبري من دخيل، دار المعارف، القاهرة، د. ت.
- أحمد معوض: أضواء على تاريخ المشرق الإسلامي وحضارته ذروة عصر السلاجقة العظام (طغرلبك)، الدار العربية للنشر، القاهرة، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م.
- بار تولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة أحمد السعيد سليمان، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٥٨م.
- بار تولد: التركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي، ترجمة صلاح عثمان هاشم، الكويت، ١٩٨١م.
- حسن إبراهيم حسن، الدولة الفاطمية، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م.
- حسين أمين: تاريخ العراق في العصر السلجوقي، بغداد، ١٩٦٥م.
- سامي. ش: قاموس العلماء، المجلد الرابع، استانبول، ١٣٠٦هـ.
- سون ترو: فن الحرب، إعداد وترجمة رؤوف شبايك، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة محمد علاء الدين منصور، القاهرة، ١٩٩٠م.
- _____: الوزارة في العهد السلجوقي، ترجمة أحمد حلمي، الكويت، ١٩٨٤م.
- عصام الدين عبد الرؤوف الفقي: الدول الإسلامية المستقلة في المشرق، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٧م.
- عبد النعيم حسانين: سلاجقة إيران والعراق، النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م.
- _____: مسلمو تركستان والغزو السوفيتي، آداب القاهرة، ١٩٨٥م.

- فاضل الخالدي: النظم في العراق خلال القرن الخامس، بغداد، ١٩٦٩م.
- د. فؤاد حيدر: الشخصية في الإسلام وفي الفكر الغربي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م.
- كي لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية ووضع فهارسه، بشير فرسيس، كوركيس عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.
- د. محمد توفيق الصنوي: نظرية الهوية الشخصية، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٤م.
- محمد جمال الدين سرور: سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٦م.
- د. محمد عبد العظيم يوسف أبو النصر: السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، الطبعة الأولى، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠١م.
- محمد فريد: دائرة المعارف، القرن العشرين، المجلد الخامس، بيروت، ١٩٧١م.
- د. محمد نجاتي: القرآن وعلم النفس، دار الشروق، مصر، ١٩٨٠م.
- محمد محمد الصلابي: دولة السلاجقة وبرز مشروع إسلامي لمقاومة الباطن والغزو الصليبي، الطبعة الأولى، مؤسسة أقرأ، القاهرة، ٢٠٠٦م.
- مصطفى غالب: تاريخ الدولة الإسماعيلية، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م.

رابعاً: المراجع الفارسية:

- براون: تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي، القاهرة، ١٩٥٤م.
- ذبيح الله صفا: تاريخ أدبيات إيران، طهران، ١٣٣٦ ش.
- الطرازي (أبو نصر مبشر): عسكريت در اسلام، القاهرة، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

خامساً: المراجع الأجنبية:

- Aussel: The Problems of Philosophy, Oxford University Press, London. 1959.
- Carrett : Personal Identity and Self Consciousness, London. 1990.
- Chilsholm R.M : Identity Through Time, An Essay in Metaphysics, The Big Questions, 1988.
- Gibbard : Contingent Identity, An Essay in Metaphysics, An Anthology, 1988.
- Osborn : Islam Under the Khalifa of Bagheded London, 1978.
- Shoe make R: Personal Identity, An Essay in Metaphysics, The Big Questions, 1997.
- Stacew: The Theory of Knowledge and Existence Oxford, 1932.